ملف المستقبل
سري جدا!!

كوكب الطغاة

111

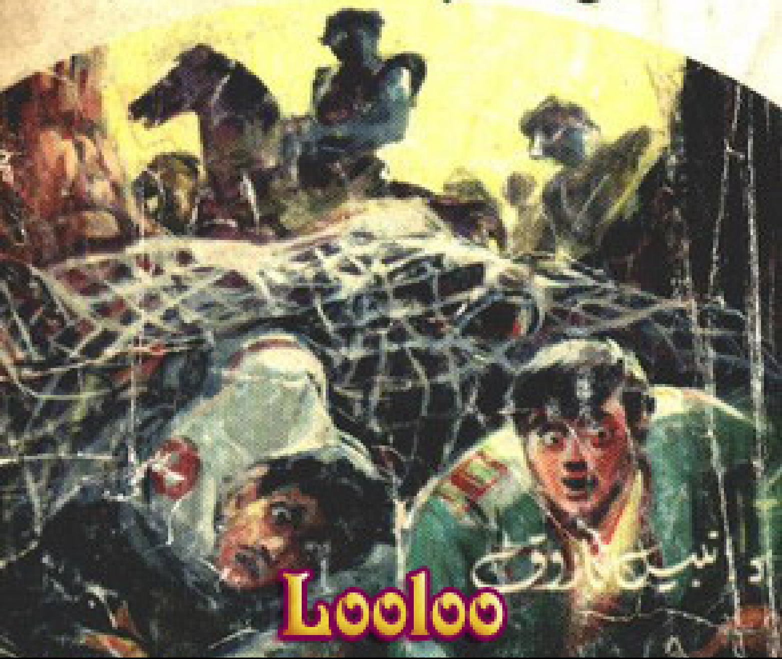

www.helmelarab.net

ملف المستقبل

فى مكانٍ ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الحمم ..

انطلق أزيز متصل من الهاتف الساخن(*) ، فى مكتب رئيس الجمهورية المصرى ، فى تلك الليلة من ليالى القرن الحادى والعشرين ، فامتدّت سبّابة الرئيس تضغط زر الاتصال المرئى ، وظهرت على الشاشة صورة رئيس الجمهورية الأمريكى ببشرته الداكنة ، والتوتر يبدو واضحًا على وجهه ، فبادره الرئيس المصرى ، قائلًا :

ـ مرحبًا يا مستر (روجرز) .. كنت أتوقّع اتصالك فى الواقع ، منذ ست دقائق تقريبًا .

لوّح الرئيس الأمريكى بيده ، وقال :

ـ معذرة يا فخامة الرئيس ، ولكن الوضع لدينا متوتر للغاية ، وكان علىّ أن أعقد اجتماعًا مع هيئة الأمن القومى ، قبل اتصالى بكم .

(*) الهاتف الساخن : مصطلح يقصد به وجود اتصال مباشر ، بين هيئات تنفيذية ، أو حكومات متعاونة ، بحيث يكفى رفع سماعة الهاتف ، ليتم الاتصال مباشرة بالطرف الآخر .

ثم مال إلى الأمام ، وتضاعف توتره على نحو ملحوظ ، وهو يسأل :

ـ قل لى يا فخامة الرئيس : هل الأنباء التى وصلتنا عن حملة القمر صحيحة ؟!

تنهّد الرئيس المصرى ، وعقله يسترجع تلك الأحداث القريبة ، التى بدأت مع ذلك الانفجار الهائل فى قلب الفضاء ، والذى أدّى إلى تدمير قاعدة القمر عن آخرها ، ونشوء دوّامة عجيبة ، تجذب إليها كل ما حولها ، بقوة تتزايد تدريجيًا ..

ومع الغموض الذى أحاط بالحادث ، ونتائجه التدميرية الرهيبة ، صدر قرار عالمى بالقيام بحملة فضائية محدودة ، إلى قاعدة القمر ؛ لتحديد الأسباب الحقيقية للكارثة ، وإمكانية تفادى تداعياتها السلبية ..

وخرج (نور) و (أكرم) على رأس الحملة ، التى ضمت اثنين من الروس ، ومثلهما من الأمريكيين ، وثلاثة من العرب ، وألمانيًا واحدًا ..

وعلى القمر ، بدأت سلسلة من الحوادث الغامضة ، راح ضحيتها عدد من أفراد الحملة المحدودة ، وتم تخريب المكوك (القاهرة ـ ٢٠٠٠) ، وسُرقت كرة المعلومات ، التى تحوى تفاصيل الكارثة ، وكل هذا

بسبب جاسوس مجهول ، لم يلبث أمره أن انكشف ، ولكن ..

بعد فوات الأوان ..

ففى نفس اللحظة ، التى لقيت فيها الجاسوسة مصرعها ، كانت قوة جذب الفجوة السوداء ، التى نشأت عن الانفجار ، قد بلغت حدًّا كبيرًا ، جعلها تجتذب المكوك الفضائى براكبيه إلى مركزها ، وتبتلعهم ؛ لتلقى بهم فى عالم رهيب ..

ومخيف(*) ..

« لماذا لا تجيب يا فخامة الرئيس ؟! .. »

نطق الرئيس الأمريكى السؤال فى قلق شديد ، فانتزع الرئيس المصرى من ذكرياته وتصوّراته ، وجعله يعتدل فى مقعده ، قائلاً :

ـ وما الأخبار التى وصلتكم بالضبط ، حتى يمكننى إبلاغك ما إذا كانت صحيحة أم لا ؟

أجابه الرئيس الأمريكى بكل توتره :

ـ يقولون : إن الحملة قد فشلت ، وأن الكارثة قد أدّت إلى تكون فجوة سوداء ، تتسع باستمرار .. أهذا صحيح ؟!

(*) راجع الجزء الأول (الدوامة) ... المغامرة رقم (١٠٩)

قال الرئيس المصرى فى شىء من الحزم :

علماؤنا أبلغوا علماءكم بأمر هذه الفجوة السوداء ، منذ اللحظة الأولى ، التى انتبهوا فيها إلى وجودها يا مستر (روجرز) ، وطلبوا منهم التعاون فى إيجاد وسيلة لمنع خطرها ، أو إيقاف اتساعها ، خاصة وأنها صارت تهدد القمر ، ومن بعده الأرض ، أما بالنسبة للحملة القمرية ، فالأخبار التى لديكم صحيحة للأسف .

هتف الرئيس الأمريكى ، منزعجًا :

ـ فشلت ؟! .. يا إلهى ! .. كيف هذا ؟! .. لقد كانت فرصتنا الوحيدة ، لجمع المعلومات ، والبحث عن وسيلة لتفادى الكارثة الرهيبة القادمة !.. كيف يمكن أن تفشل ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى عصبية :

ـ عندما كانت الأمور فى أيدينا ، لم يكن من الممكن أن نفشل فى مهمة تقليدية كهذه .

أجابه الرئيس المصرى فى صرامة :

عندما كانت الأمور فى أيديكم ، كدتم تدمرون العالم كله ، فى حماقة متغطرسة مجنونة ، لكم يكن لها آنذاك ما يبررها .

هتف الرئيس الأمريكى :

ـ وماذا تسمى فشل حملتكم ؟! .. ألا يمكن أن تؤدى إلى ما هو أكثر بشاعة ؟!

احتدّ الرئيس المصرى ، وهو يقول :

ـ رجالنا بذلوا قصارى جهدهم ، وفعلوا كل ما باستطاعتهم يا مستر (روجرز) ، ولكن تلك الفجوة السوداء ابتلعتهم بسرعة ، قبل أن يجدوا وسيلة لتفادى قوة جذبها ، التى تتزايد على نحو مخيف :.

امتقع وجه الرئيس الأمريكى ، وهو يقول :

ـ ابتلعتهم ؟! .. رباه ! .. أتعنى أن المكوك كله لم يعد ينتمى إلى عالمنا .

أجابه الرئيس المصرى بإيماءة صامتة مريرة ، فهتف فى ارتياع :

ـ ومتى ؟! .. متى حدث هذا ؟!

ألقى الرئيس المصرى نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب فى أسى ومرارة بلا حدود :

ـ منذ ثلاثين دقيقة .. ثلاثين دقيقة فحسب ..

نطقها دون أن يدرى أن هذه الدقائق الثلاثين ، فى زمن الأرض ، كانت تعنى الكثير والكثير ، فى ذلك العالم المخيف ، الذى ألقت تلك الفجوة السوداء (نور) ورفاقه فيه ..

ففى ذلك العالم ، كان الزمن يسير على نحو أكثر بطئًا ، حتى إن الساعة الواحدة من عمر الأرض كانت تساوى هناك يومًا كاملاً ..

ولهذا شعر (نور) ورفاقه بإجهاد شديد ، عندما وصلوا إلى ذلك العالم ..

ومنذ الوهلة الأولى ، أدركوا أنهم فى عالم رهيب ..

حتى فضائه كان عاصفًا ثائرًا ، تنطلق فيه صواعق عجيبة ، يشيب لهولها الولدان ..

وبمعجزة ، نجا الجميع من موت محتوم ، عند هبوطهم وسط أطلال قرمزية عجيبة ، على سطح كوكب دموى ..

ثم توالت المفاجآت ..

والمتاعب ..

عمالقة بدائيون أشداء ، هاجموا نصف الفريق ، واختطفوا (خالد) و (واتسن) و (أوتو) ، فى نفس الوقت الذى كان (نور) و (أكرم) يبحثان فيه عن سبل للعيش ، وسط الأطلال القرمزية ..

وأثبتت الأحداث أن هؤلاء العمالقة طغاة قساة ، لا تعرف الرحمة أو الشفقة سبيلاً إلى قلوبهم ..

وأنهم سادة الكوكب الدموى ، فى هذه الحقبة من تاريخه ..

وبكل قسوة وبشاعة ، قتل هؤلاء العمالقة (أوتو) ، فى حفرة حمم رهيبة ، وعذَّبوا (خالد) و (واتسن) بلا رحمة ، على يد أميرتهم السادية (بلوميا) ، وقائدهم الرهيب (هارلاك) ..

وفى الوقت ذاته اختطف فريق آخر من سكان الكوكب (نادية) ، المقاتلة الفضائية الفذة ، ونقلوها إلى موطنهم (بشتوريا) ، فى قلب الصحراء الصخرية ، وروى لها حاكمهم تاريخ صراعهم الطويل مع عمالقة (المولاك) القساة ..

وانطلق (نور) و (أكرم) يبحثان عن رفاقهم ، الذين اختفوا فى هذا العالم البغيض ..

ولكنهما سقطا فى فخ محكم أعدَّه لهما عمالقة (المولاك) ..

وعندما أصبحا أسيرين ، تحت شبكة بدائية قوية ، أدرك (نور) و (أكرم) أنهما قد وقعا فى قبضة الطغاة ..

طغاة الكوكب الدموى(*) ..

* * *

« مستحيل ! .. » .

(*) راجع الجزء الثانى (الفجوة السوداء) .. المغامرة رقم (١١٠)

نطق (آرى) ، فارس فرسان (بشتوريا) الكلمة ، فى صرامة شديدة ، فى وجه (نادية) ، قبل أن يلوّح بيده فى حدة ، مستطردًا :

ـ ما تفكرين فيه مستحيل تمامًا يا سيدتى ! .. إننا لن نضحى أو نجازف بفريق من أفضل رجالنا ، لإنقاذ رفيقيك ، بعد أن وقعا فى أسر طغاة (المولاك) بالفعل .. مستحيل ! .. مستحيل !

صاحت فى غضب :

ـ ولماذا مستحيل ! .. أنت لا تدرك ما يمكن أن يفيدكم به (نور) ، لو أنكم استعنتم به ، فى حربكم مع (المولاك) .. إنه عبقرى فى هذا المضمار .. قائد حقيقى ، يستطيع اتخاذ قراراته فى سرعة وحزم ، وبأقل قدر ممكن من الأخطاء .

أجابها فى صرامة :

ـ أشكرك يا سيدتى ، ولكننا لسنا بحاجة إلى غرباء ، يقاتلون من أجلنا .. سنقود حربنا بأنفسنا ، وفى الوقت الذى نحدّده نحن .

قالت فى سخرية عصبية :

ـ متى ؟! .. بعد خمسين عامًا أخرى ؟! .. هل تتصوّر أنكم ستعيشون لخمسين عامًا تالية ؟! .. ألا تدرك أيها

العبقرى أن تلك الفجوة اللعينة لن تلبث أن تجذب قمرنا إليها ، وتضرب به كوكبكم هذا ، بمنتهى العنف والقوة ؟! .. هل تعلم ما الذى سيحدث عندئذ ؟!

اعتدل الحاكم (كانو) ، وبدا عليه التوتر ، وهو يقول :

ـ يمكننا أن نتخيّل هذا يا بنيّتى ، لو أنك أخبرتنا بحجم قمركم ، وبالنظرية العلمية التى استندت إليها ، للوصول إلى هذا الاستنتاج المخيف .

لوّحت بذراعها ، قائلة :

ـ إنها نظرية وضعها أحد علمائنا ، وهو أمريكى الأصل ، لو أن هذا يعنيكم ، أو يعنى عندكم شيئًا ، ومن المؤكد أنها ليست مجرّد استنتاجات علمية ، فقد مر معنا بتلك التجربة الرهيبة ، عندما اجتذبتنا تلك الفجوة ، وألقت بنا هنا .. أما بالنسبة للقمر ، فهو التابع الوحيد لكوكبنا ، وكل ما أعلمه عنه هو أن قطره يبلغ ثلاثة آلاف وأربعمائة كيلو متر تقريبًا ، والصخور التى سقطت على كوكبكم من تلك الفجوة ، هى صخوره .

أومأ برأسه متفهمًا ، وغمغم فى اهتمام قلق :

ـ فليكن .. سنجعل علماءنا يدرسون هذا الأمر .

ثم سألها فى اهتمام أكثر :

- هل تعلمين كم يبعد قمركم هذا عن الفجوة ؟!

هزت رأسها ، مغمغمة :

- كلا .. لست أظنكم تجدون هذه المعلومة ، إلا عند (نور) ، أو (واتسن) .

مط (كاتو) شفتيه في توتر شديد ، ثم أدار عينيه إلى (آرى) بنظرة خاصة ، فهم هذا الأخير مغزاها على الفور ، فقال في عصبية :

- لا يمكننا أن نجازف بمحاولة إنقاذ أحد ، في ظل هذه الظروف .. (المولاك) متحفزون للغاية ، ومهاجمتهم الآن تبدو أشبه بالهجوم على وحش مفترس ، في نفس اللحظة التي كشر فيها عن أنيابه واستعد لالتهام فريسة جديدة .. هذا مستحيل !

أشار الحاكم بسبابته ، مغمغمًا :

- من الضروري أن نعرف بعض المعلومات ؛ فكوكبنا كله مهدد بالخطر .

لوح (آرى) بذراعه كلها ، قائلاً في حدة :

- ربما وجد العلماء حلاً آخر .. إنك لم تستشرهم بعد .

وهتفت (نادية) في عصبية :

- ماذا دهاك أيها الحاكم ؟! .. ألست تملك ناصية الأمور هنا .. أصدر له أمرًا بقيادة حملة لإنقاذ (نور) و (أكرم) .

هز الحاكم رأسه نفيًا في بطء ، وهو يقول :

- ليس هذا أسلوب الحكم في (بشتوريا) يا بنيتي .. صحيح أنني الحاكم ، ولكن (آرى) هو قائد الفرسان ، والمسئول الأول عن كل العمليات العسكرية .

هتفت مستنكرة :

- هذا العنيد المتحذلق ؟!

صاح بها (آرى) في غضب :

- نعم أيتها الغريبة المغرورة .. هذا العنيد المتحذلق هو القائد العسكري هنا .. هل يمكنك استيعاب هذه الحقيقة ، أم أنك تحتاجين إلى أسلوب أكثر وضوحًا ؟!

قالت في حدة :

- بل أحتاج إلى رجل شجاع ، لا يبالي بالمخاطر ، ولا يرتجف دائمًا أمام فكرة مواجهة أولئك العمالقة .

احتقنت بشرته المائلة إلى الزرقة ، وهو يقول :

- وماذا تعرفين أنت عن الشجاعة ، ومواجهة (المولاك) ؟! .. فارق كبير جدًا بين الشجاعة والحماقة يا سيدتي ، فليس من الشجاعة أن أخوض معركة ، لم أستعد بعد لخوضها ، أو أن أبدأ قتالاً ، مع عدو يفوقني قوة ، في الوقت الذي يتحفز فيه لملاقاتي .. ومن الحماقة ، كل الحماقة أن أقاتل في سبيل غرباء ، مهما كانت أهمية بعضهم ، عند البعض .

قالها ، وعيناه تتطلعان إلى عينيها مباشرة ، وانتهى من قوله ، فران عليهما صمت رهيب ثقيل ، استغرق ما يزيد على نصف الدقيقة ، قبل أن تقول (نادية) فى صرامة :

ـ فليكن .. سأذهب وحدى .

قالتها ، واستدارت فى حزم ، وكأنها تستعد لمغادرة المكان ، فأمسك (آرى) بذراعها فى قوة ، قائلاً فى حدة :

ـ ومن سيسمح لك بالذهاب ؟!

التفت إليه بحركة عنيفة ، وهو تهتف :

ـ كنت أظننى ضيفة هنا ، ولست أسيرة !

أجابها فى غضب :

ـ هذا صحيح ، ولكنه لا يمنحك الحق فى تهديد أمن شعبنا كله ، كلما قفزت إلى ذهنك نزوة حمقاء .

صرخت فى ثورة :

ـ نزوة حمقاء ؟! .. هل تسمى رغبتى فى الذود عن رفاقى ، والسعى لإنقاذهم نزوة حمقاء ؟!

صاح فى حدة :

ـ بالتأكيد ؛ لأنها لا تستند إلى أى عقل أو منطق سليم ، ولا ..

بتر عبارته بغتة ، عندما ارتفع من يده أزيز متقطع ، فرفع معصمه ؛ ليلقى نظرة على جهاز شبيه بالكمبيوتر ، أحيط بمعصمه كساعة اليد ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يرفع عينيه إليها ، ويقول فى توتر :

ـ ولم تعد هناك فائدة لكل هذا .

سألته وجسدها يرتجف :

ـ ماذا تعنى ؟!

اعتدل ، وشدّ قامته ، وهو يجيب فى حزم :

ـ رفيقاك أصبحا داخل قلعة الطغاة بالفعل ، وهذا يعنى أن إنقاذهم صار مستحيلاً .

وانتفض جسد (نادية) كله ..

وبعنف ..

* * *

على الرغم من الشبكة الثقيلة ، والعمالقة الخمسة عشر ، المحيطين بهما ، راح (نور) و (أكرم) يقاومان فى استماتة ، وجاهد هذا الأخير ، فى محاولة لالتقاط بعض الرصاصات من جيبه ؛ ليعيد بها حشو مسدسه ، وهو يهتف :

ـ اللعنة ! .. لن تهزمونا بهذه البساطة أيها الأوغاد .. سأقاتل حتى آخر نفس يتردد فى صدرى .

ولكن أحد العمالقة هبط عن صهوة جواده ، واندفع نحوه ، وهوى على مسدسه بهراوته ، فأطاح به إلى آخر الشبكة ، عند قدمى (أكرم) ، الذى صرخ فى غضب هادر :

ـ أيها الوغد .. أيها الحقير .. أيها الـ ..

أمسك (نور) يده فى قوة ، وهو يقول فى حزم :

ـ اهدأ يا (أكرم) .. اهدأ يا صديقى ، وإلا أطاحت الضربة التالية برأسك .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ماذا دهاك يا (نور) ؟! .. هل تحضّنى على الاستسلام ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ أى استسلام يا رجل ؟! .. لقد وقعنا فى قبضتهم بالفعل ، ومن الذكاء أن تجيد الانهزام ، عندما تدرك أنك قد خسرت الجولة ، حتى لا تهدر جهدك ، عندما تحين لحظة حسم المباراة .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، دون أن يناقش الأمر ، فى حين راح بعض العمالقة يجذبون أطراف الشبكة ، ثم ربطوها بحبل قوى ، ألقوه إلى قائدهم ، الذى كشّر عن أنيابه ، وأطلق زمجرة قوية متشفية ، ثم ربط طرف

الحبل حول عنق جواده القوى ، وجذب عنانه ، فأطلق الجواد صهيلاً عاليًا ، وضرب الهواء بقائمتيه الأماميتين ، قبل أن ينطلق نحو القلعة ..

وفى انطلاقته ، جذب الشبكة خلفه ، وداخلها (نور) و (أكرم) ، اللذان راحا يرتطمان بالصخور الصغيرة ، وبالأرض الوعرة فى قوة ، والجواد يجرّهما خلفه فى عنف ، ومن حولهما العمالقة الآخرون ، يطلقون صيحات بدائية همجية ظافرة ، ويلوّحون بهراواتهم فى الهواء ..

وهتف (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الحقراء .. اللعنة ! .. هذا مؤلم جدًا .

أما (نور) ، فعلى الرغم من آلامه المبرحة ، راحت عيناه تسجلان كل ما حوله ، وعقله يختزن الملاحظات والمشاهد ، كما لو أنه جهاز كمبيوتر متطوّر ..

وبسرعة كبيرة ، وضجيج هائل ، اقترب العمالقة الخمسة عشر من القلعة الضخمة وأطلق قائدهم صرخة هادرة ، فانخفض الجسر ، حتى لامس الجانب الآخر من الأخدود العميق الواسع ، المحيط بالقلعة ، وارتفع باب من القضبان المعدنية الثقيلة ، وانطلق العمالقة يعبرون

الجسر ، وهم يجرون الشبكة خلفهم فى قسوة ، غير مبالين بـ (نور) و (أكرم) ، اللذين يتخبطان ويرتجّان فى عنف ، وصيحات الظفر والانتصار الوحشية تحيط بهما ، و ..

« يا إلهى ! .. هذا رهيب يا (نور) .. » ..

هتف (أكرم) بالعبارة فى توتر واضح ، وهو يحدّق فى الحمم الملتهبة ، التى تتدفق عبر الأخدود المحيط بالقلعة الهائلة ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وبدا له المشهد رهيبًا مخيفًا ، أكثر مما كان يتوقّع بكثير ..

وعلى الرغم منه ، سرت فى جسده قشعريرة باردة ، تساءل فى أعماقه : أى قوم هؤلاء ، الذين يحيطون أنفسهم بكل هذا القدر من الرهبة والعذاب ؟! ..

بل أى طغاة ، الذين يتعاملون بكل هذه القسوة والوحشية ..

وفى الوقت نفسه ، تمنى أن يعبروا ذلك الجسر بسرعة ، حتى يتجاوزوا مشهد الحمم الرهيب ..

ولكن لم تكد الفكرة تملأ رأسه ، حتى جذب قائد العمالقة عنان جواده القوى ، ورفع يده ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، فتوقّف الجميع فوق الجسر ، وصهلت الخيول فى توتر ، وتدحرج (نور) و (أكرم) داخل الشبكة فى عنف ، مع التوقف المفاجئ ، وهتف الأخير :

ـ ما الذى يفعله بنا هذا الوغد ؟!

سرت فى جسد (نور) موجة عنيفة من التوتر ، وهو يغمغم :

ـ كل ما أرجوه ألا يفكر فيما أخشاه يا رجل .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ وما الذى تخشاه يا (نور) ؟!

ودون أن يجيب ، أشار (نور) إلى الحمم المتدفقة ، فحدّق فيها (أكرم) فى ارتياع ، قبل أن يهتف :

ـ مستحيل ! .. لا يمكن أن يفكر فى هذا يا (نور) .. لا يمكن أن ..

وبتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى العملاق ، الذى هبط عن صهوة جواده ، واتجه نحوهما ، ثم استطرد فى عصبية :

ـ اللعنة ! .. إنه لن يتورّع عن أى عمل حقير يا (نور) .

توقّف العملاق أمامهما ، وتألّقت عيناه الحمراوان ببريق وحشى ظافر شامت ، ثم رفع يده ، ولوّح بهراوته فى الهواء ، مطلقًا صيحة مخيفة ، ردّدها الآخرون خلفه ، وهم يلوّحون بهراواتهم بدورهم ، ثم خفضوها ، وراحوا يهمهمون بعبارات عجيبة ، وكأنما ينشدون نشيدًا همجيًا قديمًا ، فقال (أكرم) فى عصبية :

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ وما الذى تخشاه يا (نور) ؟!

ـ ما الذى يفعلونه يا (نور) ؟

غمغم (نور) ، وهو يراقب ما يحدث فى توتر :

ـ إنه نوع من الطقوس الوثنية على الأرجح .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ طقوس وثنية ؟! .. ولماذا ؟!

قبل أن يجيب (نور) ، اندفع العملاق نحوهما ، وانطلقت من حلقه صرخة رهيبة ، ثم دفعهما بكل قوته ، فصرخ (أكرم) :

ـ ربّاه ! .. ما الذى يفعله هذا الوغد ؟ .. ما الذى يفعله ؟!

ومع آخر حروف صرخته ، وقبل أن يتلاشى صداها ، هوى جسداهما داخل الشبكة من فوق الجسر .. ونحو الحمم المتدفّقة مباشرة .

* * *

٢ـ الجحيم ..

انقضت تلك الحيوانات الصغيرة ، الشبيهة بالفئران ، على (واتسن) و (خالد) ، وراحت تنتزع قطعًا صغيرة من جسديهما فى سرعة وعنف ، فانطلقت صرخاتهما عالية قوية ، تحمل مزيجًا من الألم والذعر والعذاب ، وصاح (خالد) ، وهو يضرب تلك الحيوانات بذراعيه فى قوة ، محاولاً إبعادها عن جسده :

ـ لماذا ؟! .. لماذا لم يقتلونا غرقًا ؟! .. لماذا هذا العذاب الوحشى الرهيب ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطلقت ضحكة الأميرة (بلوميا) تتردد فى المكان ، ورددت الجدران الصخرية صداها ، بكل ما تحمله من لذة واستمتاع ، فهتف (واتسن) ، وهو يحاول بدوره عبثًا إبعاد الأنياب الصغيرة :

ـ ها هو ذا الجواب يا رجل .. تلك السادية اللعينة تستمتع بتعذيبنا .. هل تسمع ضحكاتها الساخرة ؟! .. إنها تراقبنا من مكان ما ، وتتلذذ بكل صرخة ألم نطلقها .

صرخ (خالد) :

ـ اذهبى إلى الجحيم أيتها الحقيرة ، فأنت تنتمين فعليًا إليه .

تضاعفت أعداد تلك الحيوانات الوحشية على نحو مخيف ، وراحت تهاجم بشراسة أكثر ، وتضاعف معها العذاب والألم ، حتى كاد (خالد) يفقد وعيه ، فهتف فى مرارة :

ـ وداعًا يا (واتسن) .. وداعًا يا صديقى .. لعل موتنا ينهى العذاب المستمر ، الذى عانيناه فى هذا العالم الرهيب ، وداعًا .

هتف بعبارته ، وسقط على وجهه ، فاندفعت نحوه تلك الحيوانات الصغيرة بأعداد كبيرة ، وصرخ (واتسن) :

ـ لا .. ليس بهذه الوسيلة البشعة .. لا .

امتزجت صرخته بضحكات (بلوميا) السادية الساخرة ، فاندفع نحو (خالد) ، وراح يضرب تلك الحيوانات الصغيرة بقدميه وذراعيه ، صارخًا :

ـ ابتعدى أيتها الحيوانات الحقيرة .. ابتعدى .

كان الأمر يبدو وكأنه ضرب من العبث ، مع كل تلك الأعداد ، التى تتزايد بسرعة مخيفة ، ومع الأنياب الصغيرة الشرسة ، التى تنغرس فى أى شىء تبلغه ، و ..

ولكن فجأة ، انطلق ذلك الصفير ..

صفير قوى ، عجيب ، تجمّدت معه تلك الحيوانات ، ثم راحت تطلق صيحات رفيعة ، وهى تتراجع فى ألم ، وتهرع إلى الفتحات السفلية ، وتختفى داخلها ، وكأنما يؤلمها ذلك الصفير ، ويثير انزعاجها وخوفها بشدة ..

ولم تمض نصف الدقيقة ، حتى خلت الفجوة منها تمامًا ، فاتسعت عينا (واتسن) لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن هتف وهو يهزّ (خالد) فى قوة :

ـ ربّاه ! .. لقد ذهبت .. تلك الوحوش الصغيرة رحلت يا رجل .. هيا .. استيقظ .. لقد لفظنا الموت مرة أخرى يا صديقى .. لم يرض لنا بتلك النهاية البشعة الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى جسد (خالد) ، ثم لم يلبث أن دفعه فى قوة ، ليقلبه على ظهره ، وهو يقول فى توتر شديد .

ـ لا يا (خالد) .. لا يا صديقى .. لا تستسلم الآن .. لا تتركنى وحدى مع هؤلاء الطغاة .. قاوم يا رجل ، قاوم ذلك الشعور بالـ ..

مرة أخرى بتر عبارته ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو ينظر إلى العينين المفتوحتين ، اللتين فقدتا بريق الحياة ، فى نفس الوقت الذى ألقى فيه أحد العمالقة

سلمًا داخل الفجوة ، وهبط إليها ، ولكز (واتسن) بطرف رمحه ، وهو يزمجر بعبارة ما ..

ولم يحتمل (واتسن) هذه المرة ..

كان جسده مثخنًا بالجراح ، من جراء تلك الأنياب الوحشية الصغيرة ، وضلعه مكسور ، وصدره ممزق بمخالب الأميرة ، إلا أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، استدار إلى الحارس العملاق ، صارخًا بكل الغضب الهادر فى أعماقه ، وكل الثورة التى يرتجف بها كيانه :

ـ لقد مات .. مات .. اذهبوا إلى الجحيم أيها الأوغاد .

تراجع الحارس فى دهشة ، مع هذه الثورة المباغتة ، فانقض عليه (واتسن) فى غضب هادر ، وراح يلكمه بقبضتيه فى وجهه ، وصدره ، وعنقه ، وهو يواصل صراخه الثائر :

ـ أنتم قتلتموه .. فعلتموها فقط ؛ ليستمتع ذلك الوحش الكاسر فى أعماقكم .. أنتم فعلتموها أيها الأوغاد .. قتلتم أفضل رجل عرفته فى حياتى كلها .

وثب حارسان آخران إلى الفجوة ، وانقضا على (واتسن) فى وحشية ، فتحوّل إليهما فى ثورة غاضبة ، وأطلق زمجرة شبيهة بزمجرتهم ، ولكن هراوة ارتفعت بسرعة ، ثم هوت على رأسه ، فألقته مترين فى عنف ،

ليرتطم بجدار الفجوة ، ثم يسقط على وجهه فاقد الوعي ..

وفى تلك اللحظة فقط ، ظهرت الأميرة عند قمة الفجوة ، وتطلّعت إلى الموقف كله فى صمت ، ثم أشارت بيدها فى سطوة ، وألقت بضع كلمات بلهجة آمرة ، فأسرع الحراس يحملون (واتسن) الفاقد الوعى ، إلى خارج الفجوة ، واندفعوا معه عبر الممرات المتشابكة ، فى حين جذب حارس آخر سلسلة معدنية كبيرة ، فعادت تلك الحيوانات الصغيرة تخرج من الفتحات السفلية بأعداد كبيرة ، واندفعت كلها نحو جثة (خالد) حتى غطتها تمامًا ، وراحت الأنياب الصغيرة تلتهمها فى نهم ، دون أن تبقى على عظام أو دماء ..

وفى استمتاع شديد ، راحت (بلوميا) تراقب ذلك المشهد البشع ، وهى تموء كالهرة ، وعيناها الدمويتان تبرقان ..

وتبرقان ..

وتبرقان ..

* * *

انطلقت من حلق (أكرم) شهقة مكتومة ، وتعلّق بحبال الشبكة فى قوة ، وعلى نحو غريزى تمامًا ، وهو

يسقط داخلها مع (نور) ، فى الأخدود العميق ، الذى تجرى فيه الحمم الملتهبة ، فى حين ندّت من (نور) حركة عصبية عنيفة ، تشفّ عن توتره وعدم وجود وسيلة للنجاة ..

وصرخ (أكرم) بكل غضبه وثورته :

ـ أيها الأوغاد .

ومع آخر حروف صرخته ، توقّفت الشبكة بغتة فى عنف ، وانطلق من الجواد صهيل قوى ، وهو يضرب الجسر الخشبى بقوائمه ، وامتزج صهيله بضحكات ساخرة عالية ، انطلقت من حناجر العمالقة ، فاحتقن وجه (أكرم) فى غضب ، وقال (نور) فى عصبية :

ـ رباه ! .. إنهم يعبثون بنا فحسب .

هتف (أكرم) :

ـ الأوغاد !

قهقه العمالقة ساخرين ، دون أن يفهموا هتافه ، ثم تآزر اثنان منهم ، وجذبا الشبكة ، لإعادتها إلى الجسر ، والجواد يطلق صهيلاً غاضبًا ، لما يسببه له الحبل المربوط حول عنقه من ألم ، ولكن صاحبه وثب على متنه ، وصفعه على عنقه ، وهو يزمجر فى غضب ، ثم لكز بطنه بكعبيه ، وانطلقت القافلة ثانية عبر الجسر ،

والجواد يجرّ الشبكة خلفه ، وداخلها (نور) و (أكرم) ، والعمالقة يطلقون صيحات الظفر .

ومع عبورهم البوابة الضخمة ، أصبحوا داخل ساحة كبيرة ، امتلأت بحرّاس عمالقة ، في تلك الدروع الثقيلة ، وارتفع الجسر من خلفهم ، وهبطت القضبان الثقيلة ، ولكن القافلة لم تتوقّف ، وإنما واصلت انطلاقها ، عبر ممرات واسعة ، رددت جدرانها الصخرية وقع حوافر الجياد في قوة ، حتى بلغوا قاعة شبه مظلمة ، فتوقّف الجميع ، وهتف القائد بعبارة ما ، فاندفع بعض رجاله نحو الشبكة ، وحلّوا حبلها من حول عنق الجواد ، ثم جذبوها في خشونة ، و (أكرم) يهتف في غضب :

ـ كفى أيها الأوغاد .. إنكم تؤلموننا بشدة .

ارتفعت ضحكاتهم القاسية ، وكأنما يروق لهم كثيرًا أن يصرخ (أكرم) ويحتجّ ، دون أن يبالوا باحتجاجه ، حتى بلغوا حفرة كبيرة ، تغطيها قضبان معدنية ثقيلة ، تعاونوا لجذبها بعيدًا ، ثم دفعوا طرف الشبكة ، فانفتحت في عنف ، وألقت (نور) و (أكرم) خارجها ، داخل تلك الحفرة ، فسقطا من ارتفاع أربعة أمتار ، وارتطما بالأرض في عنف ، فتأوّه (نور) في ألم ، وأطلق (أكرم) سبابًا غاضبًا ، والعمالقة يعيدون وضع القضبان

المعدنية الثقيلة على الحفرة ، ثم يبتعدون وضحكاتهم الساخرة الشامتة تتردّد في المكان ..

وفي مزيج من الغضب والألم ، اعتدل (أكرم) جالسًا ، وهو يهتف :

ـ يا للأوغاد ! .. إنهم يتعاملون معنا كما لو كنا مجرّد دمى من الخشب ولسنا مخلوقات من لحم ودم .

لهث (نور) ، وهو يجلس بدوره ، قائلاً :

ـ لست أظن هذا يعني الكثير بالنسبة لهم .

مطّ (أكرم) شفتيه في حنق ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في توتر ، وهو يسأل :

ـ (نور) .. أهذا ما انتهى إليه مصيرنا ، في هذا العالم ؟! .. هل كتب علينا أن نلقى حتفنا داخل حفرة حقيرة ؟!

تنهّد (نور) في عمق ، قبل أن يقول :

ـ لست أعتقد أنهم ينوون قتلنا ، في هذه المرحلة على الأقل ، وإلا لما أبقوا علينا حتى هذه اللحظة .

أجابه (أكرم) في عصبية :

ـ هل تعتقد هذا ؟! .. هؤلاء القوم ساديون قساة القلوب يا (نور) ، وربما أبقوا علينا فحسب لأن اللعبة لم تنته بعد ، ولم تشبع ساديتهم بالقدر الكافي .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لست أعتقد هذا .. إنهم ساديون قساة بالفعل ، ولكنهم لن يبقوا علينا لهذا السبب وحده .. إنهم يحتاجون أيضًا إلى معرفة الكثير عنا ، وعن سبب وجودنا فى عالمهم ، وهذا بـ ..

قبل أن يتم عبارته ، تناهى إلى مسامعه أنين خافت ، انعقد له حاجباه فى شدة ، وهو يتلفت حوله فى توتر ، محاولاً اختراق حجب الظلام المحيطة به ، فى حين أتى (أكرم) برد فعل عنيف ، وهو يقول فى حدة :

ـ يبدو أننا لسنا وحدنا هنا يا (نور) .

أرهف (نور) سمعه جيدًا ، وأدار رأسه نحو مصدر الأنين الخافت ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .. هناك شخص مصاب على الأرجح .

لم يكد يتم عبارته هذه المرة ، حتى تأوه صاحب الأنين بصوت واضح ، وقال فى ألم وتهالك :

ـ رباه ! .. أهذا صوت (نور) و (أكرم) بالفعل ، أم أننى أهذى ؟!

هتف (نور) :

ـ يا (إلهى) ! .. إنه (واتسن) .

واندفع مع (أكرم) نحو مصدر الصوت ، وتحسس جسد (واتسن) فى الظلام ، وهو يستطرد فى توتر بالغ :

ـ رباه ! .. (واتسن) .. إنه أنت بالفعل ، ولكن جسدك مصاب بشدة ، وتغمره جروح ودماء كثيرة ! .. ماذا أصابك ؟! .. وأين (خالد) و (أوتو) ؟!

أجابه (واتسن) فى مرارة :

ـ ذهبا يا (نور) .. (خالد) و (أوتو) ذهبا ... هذا الكوكب اللعين قطعة من الجحيم يا (نور) ، وأنت و (أكرم) كنتما أملنا الوحيد فى النجاة منه ، ولكن يا للخسارة ! .. لقد سقطتما مثلنا .

سأله (أكرم) :

ـ ماذا حدث يا (واتسن) ؟ .. ماذا أصابكم بالله عليك ؟!

سعل (واتسن) فى شدة ، وتناثرت الدماء من بين شفتيه على صدر (نور) ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ويلهث مغمغمًا :

ـ سأروى لكما كل شىء .. كل شىء .

وبكلمات منهكة وعبارات لاهثة ، راح (واتسن) يروى لهما كل ما حدث ، شارحًا نظريته الخاصة باختلاف الزمن ، وواصفًا ما فعله العمالقة بـ (أوتو) و (خالد) ، حتى انتهى إلى مصرع هذا الأخير ، ثم سعل ثانية ، مستطردًا :

ـ ومن الواضح أننى فى طريقى للحاق به يا (نور) ..

عزائى الوحيد هو أن هؤلاء الطغاة لن يبقوا إلى الأبد ، فبعد ثلاثة أيام وبضع ساعات من زمنهم ، ستجذب الفجوة قمرنا ، وتضرب به عالمهم فى عنف ، أتعشَّم أن يكفى لتدميره تمامًا .

أجابه (نور) فى توتر :

ـ وتدمير عالمنا أيضًا يا رجل .. هل تعتقد أن انهيار تابع ضخم كالقمر ، لن يؤثر فى الأرض ، وبعنف ؟! .. ألا تعلم أن القمر هو أكبر تابع لكوكب ، فى المجموعة الشمسية كلها ؟!(*)

هزَّ (واتسن) رأسه فى ألم ، وهو يقول :

ـ وما الفارق يا (نور) ؟! .. طبقًا لحساباتى ، سيكون سقوط القمر مجرَّد بداية ، فبعد أقل من ساعتين من سقوطه ، بزمن عالمنا ، ستلحق به الأرض ، وينتهى كل شىء .

ردَّد (أكرم) مبهوتًا :

ـ يا إلهى !

وقال (نور) فى عصبية :

ـ لا ينبغى أن نسمح بحدوث هذا .

قلب (واتسن) كفيه فى مرارة ، قائلاً :

(*) حقيقة ..

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

ـ لست أدرى بعد ، ولكننى أومن دائمًا بأن المصادفات لا تأتى عبثًا ، فلو أننا فى عالمنا لما كان أمامنا أكثر من ثلاث ساعات وبضع دقائق ، للبحث عن وسيلة لإنقاذ القمر والأرض ، ثم إن المسافة بيننا وبين الفجوة ستكون هائلة ، على عكس الموقف فى هذا العالم ، الذى يمنحنا أكثر من ثلاثة أيام كاملة ، ويجعلنا قريبين نسبيًا من الفجوة .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ يالك من متفائل يا (نور) ! .. هل تعتقد أنك ستجد فى هذا العالم الهمجى وسيلة لإنقاذ الأرض ؟! .. هل تتصوَّر أنك تستطيع إنقاذها بهراوة ضخمة ، وعلى متن جواد قوى ؟!

أجابه (نور) فى عصبية :

ـ لا يمكننى أن أقف ساكنًا ، ومستقبل الأرض كله يتعرَّض لخطر رهيب .

صاح (أكرم) فى حدة :

ـ ماذا دهاك يا (نور) ؟! استيقظ يا رجل .. استعد وعيك .. إننا هنا داخل حفرة حقيرة ، بعد أن وقعنا فى

قبضة هؤلاء الطغاة القساة .. ألا يبدو لك هذا أشبه بالهزيمة ؟!

اعتدل (نور) واقفًا ، وهو يجيب فى حزم :

ـ لا أحد يدرى ماذا يمكن أن يحدث ، فى اللحظة التالية يا رجل !

هب (أكرم) واقفًا بدوره ، بعد أن اعتادت عيناه ذلك الظلام نسبيًا ، وقال فى غضب :

ـ بالتأكيد .. لا أحد يعلم متى يأتى هؤلاء الأوغاد ، لانتزاعنا من هنا ، وإلقائنا فى الـ ..

سعل (واتسن) بشدة ، فى هذه اللحظة ، وقال فى ضعف شديد :

ـ مهلاً أيها السادة .. لست أرغب فى الموت وسط شجار كهذا .

استدار الاثنان إليه ، وانحنى (نور) يربت عليه ، قائلاً :

ـ معذرة يا رجل .. يبدو أن أعصابنا الثائرة جعلتنا تنسى قواعد اللياقة .

سعل (واتسن) مرة أخرى ، وحاول أن يبتسم فى صعوبة ، وهو يتمتم :

ـ لا بأس يا (نور) .. لا بأس .. إننى أحمد الله (سبحانه وتعالى) ، لأننى أموت بين رفاقى .

أجابه (أكرم) فى رقة عجيبة ، لا تتناسب قط مع شخصيته :

ـ لن تموت بإذن الله يا رجل .. أنت مجهد ومرهق فحسب ، بسبب جراحك ، وما فقدته من دماء ، ولكنك لن تلبث أن تستعيد حيويتك ، بعد فترة من النوم العميق ، و ...

قاطعه (واتسن) بسعال آخر ، قبل أن يقول :

ـ لا تقلق بشأنى يا (أكرم) ، ولا تحاول الدوران حول الحقائق من أجلى .. أنا أعلم أننى سأموت .. شىء ما فى أعماقى ينبئنى بهذا .. أنا أعلم .

أجابه (أكرم) فى سرعة :

ـ لا تستمع إلى هذا الشىء يا رجل .. تجاهله .. لا تستسلم لليأس ، وإلا حكمت على نفسك بالموت فعلاً .

تنهد (واتسن) فى عمق ، وغمغم فى ضعف :

ـ سأحاول يا (أكرم) .. سأحاول .

ومع آخر حروف كلماته ، انزاحت القضبان الثقيلة عن الحفرة ، وتراقصت نيران مشاعل عديدة ، أضاءت المكان كله ، وأغشت أبصارهم لحظات ، وصوت خشن غليظ يهتف بكلمات صارمة ، قبل أن يلقى أحد العمالقة سلمًا من الحبال داخل الفجوة ، فغمغم (واتسن) :

- إنهم يطلبون منا الصعود .

سأله (نور) :

- هل تفهم لغتهم ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- مطلقًا .. لقد تعلّمت فهم لغة إشاراتهم فحسب .

ثم استدرك فى سرعة واهتمام :

- ولكن أحدهم هنا يتحدّث الصينية .

هتف (أكرم) فى دهشة :

- الصينية ؟! .. كيف ؟!

صاح العملاق مرة أخرى بعبارة غاضبة ، فانحنى (نور) يعاون (واتسن) على النهوض ، وهو يغمغم :

- يبدو أنه لامفر من طاعتهم ، وصعودنا إلى السطح . .

تمتم (واتسن) فى ألم :

- هذا أفضل ما يمكننا فعله .

تسلّق الثلاثة سلّم الحبال ، وأحاط بهم العمالقة برماحهم القوية ، وأجبروهم على السير عبر ممرات صخرية طويلة ، و (نور) يسأل (واتسن) فى اهتمام :

- من أين عرفوا اللغة الصينية ؟!

هزّ (واتسن) رأسه ، وهو يقول فى ضعف :

- لست أدرى .. هناك شيخ ضئيل ، يتحدّث عددًا كبيرًا من اللغات ، من بينها الصينية ، ولست أدرى كيف تعلّم كل هذا ، فى عالم بدائى همجى !

التقى حاجبا (نور) ، وهو يغمغم :

- من الواضح أنه هناك سر ما فى هذا العالم .. سر ربما يربطه بعالمنا على نحو ما .

ثم أخرج من جيبه قرصًا صغيرًا ، دفعه داخل فتحة أذنه اليمنى ، فسأله (أكرم) فى دهشة :

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) :

لاتشر إليه يا صديقى .. من حسن الحظ أن هؤلاء الأوغاد لايمتازون بدقة الملاحظة ، فهذا الشيء ، الذى وضعته فى أذنى ، فى غفلة منهم ، عبارة عن أحدث أجهزة الترجمة الفورية ، فى عالمنا كله ، وبوساطته يمكننى فهم ما يتم نطقه بأى لغة ، من اللغات المعروفة عندنا .

سأله (واتسن) فى اهتمام :

- أتعنى أنك تستطيع فهم الصينية ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، فسأله (واتسن) :

- وماذا عن نطقها ؟!

أجابه (نور) فى حذر :

- هذا يحتاج إلى جهاز آخر ، أحمله فى حزامى أيضًا .

بدا القلق على وجه (واتسن) ، وهو يفكر فى عمق ، ثم قال :

- أرجو ألا تبدى معرفتك بالصينية ، أو قدرتك على فهمها .

بدت الدهشة على وجه (أكرم) ، فى حين أجاب (نور) بسرعة وحسم :

- بالتأكيد .

لم يفهم (أكرم) ما يعنيه هذا ، ولا لماذا يخشى (واتسن) أن يعلن (نور) قدرته على فهم الصينية ، إلا أنه لم يحاول السؤال عن هذا الأمر ، وإنما عقد حاجبيه فى صمت ، وسار إلى جوارهما ، فى حراسة العمالقة الأشداء ، حتى انتهى بهم الأمر إلى تلك القاعة الصخرية الهائلة ، التى تحوى تماثيل الفرسان العمالقة ، والعرشين المزدوجين ، فاتسعت عينا (نور) فى دهشة بالغة ، وغمغم :

- يا إلهى ! .. الحلم .

سأله (أكرم) فى توتر :

- هل شاهدت هذا المكان فى الحلم ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يتطلّع إلى الأمير والأميرة ، ببشرتهما الزرقاء ، وشعرهما النارى ، و (هارلاك) الذى يقف إلى جوار العرش المزدوج ، بأنيابه المخيفة ، ونظراته الصارمة الرهيبة ، فسأله (أكرم) ثانية :

- بوساطة (محمود) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- نعم .. بوساطة (محمود) .

زمجر (هارلاك) فى هذه اللحظة ، وأشار إلى الشيخ الضئيل ، الذى اقترب منهم ، وقال بالصينية :

- هذان هما الرجلان ، اللذان هبطا معك إلى عالمنا ، فماذا عن الفتاة ؟

هزّ (واتسن) رأسه ، قائلاً :

- لست أدرى .. لقد فقداها فى قلب الصحراء ، و ..

بتر عبارته بغتة ، عندما انتبه إلى أن الشيخ يتطلّع إلى (نور) فى اهتمام بالغ ، ثم قال فى عصبية :

- ترى هل تستمع إلىّ ؟!

استدار إليه الشيخ فى بطء ، وقال :

- بالتأكيد .

شعر (نور) بالقلق لموقف الشيخ ، وخيّل إليه أنه انتبه إلى اهتمامه بسماع السؤال ، وأدرك على نحو ما أنه يفهم الصينية ...

وأن هذا قد أقلقه بشكل أو بآخر ..

ولقد نطق الشيخ كلمته ، وعاد يتطلّع إلى (نور) فى شك حذر ، قبل أن يقول له بالصينية :

ـ أنت تفهم هذه اللغة .. أليس كذلك ؟!

رسم (نور) على وجهه علامات الحيرة ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟!

رمقه الشيخ بنظرة طويلة ، حتى مالت الأميرة (بلوميا) إلى الأمام ، وألقت عليه سؤالاً بلغتها ، فالتفت إليها ، وانحنى فى احترام ، وراح يتحدّث معها بعض الوقت ، وعيناها تتألقان فى جذل ، وتتطلعان إلى (نور) و (أكرم) فى سخرية ، جعلت هذا الأخير يغمغم :

ـ كم أتمنى لو اقتلعت عينيها الدمويتين بأصابعى ، دون مخدّر أو مسكنات .

قال (نور) :

ـ عظيم .. هذا يثبت أنه قادر على التعايش مع هذا العالم الهمجى .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهو يقول :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

وقبل أن يجيب (نور) ، التفت الشيخ إلى الحراس العمالقة ، وتحدّث إليهم بلهجة آمرة ، فاندفع اثنان منهم نحو (واتسن) ، ودفعاه أمامهما فى قسوة ، حتى أوقفاه على حافة حفرة الحمم ، فاتسعت عيناه فى رعب هائل ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس هذا الجحيم .. ليس بهذه الوسيلة البشعة .

تحرك (نور) و (أكرم) فى حدة ، فى محاولة لإنقاذه ، ولكن الرماح الحادة انغرست فى جسديهما بقسوة ، و (واتسن) يتابع فى رعب :

ـ (نور) .. (أكرم) .. لا تجعلا هؤلاء الطغاة يقتلوننى، بهذه الوسيلة البشعة .. لن أحتمل النيران .. افعلا شيئًا بالله عليكما .

صاح (أكرم) فى مرارة :

ـ أيها الأوغاد .

أطلقت (بلوميا) ضحكة شرسة ، وهى تتطلّع إليهم فى تلذّذ ، فى حين ابتسم الشيخ فى هدوء ، وهو يقول بالصينية ، موجّهًا حديثه إلى (نور) :

ـ نحن نعلم أنك تفهم حديثنا .. أنا خبير بقراءة الملامح وإدراك الانفعالات المختلفة .. لقد سمعت السؤال وفهمته .. أليس كذلك ؟

تجاهله (نور) تمامًا ، ولكنه تابع بابتسامته الواثقة :

ـ ونعلم أيضًا أنك ستتظاهر بالعكس ، لذا فقد وضعناك أمام خيارين لا ثالث لهما ، فإما أن تعترف بالحقيقة ، أو تلقى زميلك فى حفرة الجحيم .

واصل (نور) صمته ، وهو يتساءل فى قلق ، عما إذا كانوا جادين فى تهديدهم هذا أم لا ، فى حين سأله (أكرم) فى توتر :

ـ ماذا يقول هذا الرجل يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ اصمت .

ابتسم الشيخ فى سخرية ، وهو يراقبهما فى إمعان ، ثم التفت إلى الأمير ، وقال شيئًا ما ، فأشار الأمير إلى (بلوميا) ، التى نهضت من عرشها ، واتجهت فى خطوات بطيئة نحو (نور) و (أكرم) ، وراحت تدور حولهما فى صمت ، وعيناها الدمويتان تتألقان بوحشية سادية عجيبة ، ثم توقفت أمام (أكرم) ، وبرقت عيناها فى شدة ، قبل أن تطلق صوتًا أشبه بمواء عصبى ، وترفع يدها أمام عينيه ، فحدق فى المخالب التى تبرز منها فى ذهول ، وهو يهتف :

ـ رباه ! .. ما تلك المرأة بالضبط يا (نور) ؟!

ولم يكد هتافه ينتهى ، حتى انغرست مخالبها فى صدره ، على نحو جعله يطلق آهة ألم قوية ، صائحًا :

ـ أيتها الحقيرة المتوحشة !

وتحركت قبضتاه فى عنف ، وكأنه يهمّ بلكمها فى وجهها ، فانتزعت مخالبها من صدره فى قسوة ، وقفزت إلى الخلف ، وهى تطلق ضحكة عالية ، جعلته يضيف فى غضب :

ـ سأقتلك .. أقسم أن أقتلك يومًا .

قهقهت ضاحكة ثانية ، على الرغم من أنها لم تفهم حرفًا واحدًا مما قاله ، ورفعت مخالبها إلى شفتيها ، لتلعق ما علق بها من دماء ، وهى تتحدث مع الشيخ الذى استمع إليها بابتسامة كبيرة ، ثم ترجم حديثها ، قائلاً :

ـ الأميرة تقول : إن تجاهل الحقيقة لن يؤدى إلا لإصرارنا على تعذيبكم أكثر ، وأنك لو أصررت على الخداع ، فستلقى رفيقك وسط الحمم أمام عينيك .

ومن المؤكد أن ما فعلته (بلوميا) مع (أكرم) كان مؤثرًا للغاية ، فقد جعل (نور) يدرك أن القسوة والوحشية لا ينقصان هؤلاء الطغاة ، وأن تهديدهم بإلقاء (واتسن) فى قلب الحمم ليس مجرد تهديد أجوف ، وأنهم يمتلكون القسوة اللازمة لتنفيذه ، دون رحمة أو شفقة ..

ورفعت مخالبها إلى شفتيها ، لتلعق ما علق بها من دماء ..

بل ودون أن يهتزّ لهم جفن ..

وفى الوقت نفسه ، كان (واتسن) يرتجف فى رعب هائل ، وهو يصرخ :

ـ ليس الحمم .. اقتلونى بأية وسيلة أخرى ، ولكن ليس الحمم .. الرحمة .. الرحمة .

وهكذا اتخذ (نور) قراره ..

وفى حزم ، انتزع من حزامه جهازًا صغيرًا ، وضعه أمام شفتيه ، وهو يقول :

ـ الانتقال إلى اللغة الصينية .

انعقد حاجبا (بلوميا) ، وتوتّر (هارلاك) على نحو ملحوظ ، فى حين تحدّث الأمير مع الشيخ فى عصبية ، فترجم هذا الأخير حديثه ، قائلاً :

ـ ما الذى تحمله بالضبط ؟

أجابه (نور) بالعربية ، ولكن الجهاز ترجم كلماته فورًا إلى اللغة الصينية ، وهو يقول :

ـ اطمئن .. إنه ليس سلاحًا ، ولكنها وسيلة للتحدُّث بلغة يمكنك فهمها .

ارتفع حاجبا الشيخ فى دهشة ، وأسرع يترجم كلمات (نور) إلى الأمير والأميرة و (هارلاك) ، فبدت الدهشة على وجوههم جميعًا ، واندفعت (بلوميا) نحو

(نور) ، وانتزعت الجهاز من يده فى عنف ، وتحدثت عبره ، فانبعث منه صوت آلى ، يقول بالصينية :

ـ لا يمكن ترجمة هذه العبارة .. اللغة غير مسجلة .

فارتفع حاجبا الشيخ مرة أخرى فى دهشة أكثر ، وتطلع إلى (نور) فى حيرة ، ثم تحدث إلى الأميرة (بلوميا) ، فانعقد حاجباها فى غضب ، قبل أن تعيد الجهاز إلى (نور) فى عصبية ، وتبتعد فى خطوات محتنقة ساخطة ..

وفى اهتمام ، سأل الشيخ (نور) :

ـ ولكنك فهمت اللغة ، قبل أن تخرج ذلك الشىء .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) عبر الجهاز :

ـ هذا صحيح ، لأننى أستخدم جهازًا آخر لترجمة ما تقوله .

سأل الشيخ فى حذر :

ـ وأين هذا الجهاز الآخر ؟

أجابه (نور) ، وهو يشير إلى أذنه :

ـ هنا .

نقل الشيخ حديثه إلى الآخرين ، فبدت عليهم الدهشة ، وراحوا يتحدثون مع بعضهم فى حدة ، وزمجر (هارلاك)

مرتين ، وصرخت الأميرة مرة فى وحشية ، واحتد الأمير عدة مرات ، ثم راح الثلاثة يتهامسون لبعض الوقت ، و (واتسن) يرتجف فى شدة ، وهو يحدق فى الحمم الملتهبة فى رعب ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية :

ـ فيم يتهامس هؤلاء الأوغاد ؟

أجابه (نور) ، وهو يراقبهم فى اهتمام حذر :

ـ من الواضح أن جهاز الترجمة يثير اهتمامهم أو قلقهم إلى حد كبير .

ابتسم (أكرم) فى سخرية عصبية ، ومسح الدم عن صدره ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هناك إذن شىء ما ، يمكن أن يثير قلق هؤلاء الحقراء .

انتهى الثلاثة من تهامسهم ، فى هذه اللحظة ، وقالت الأميرة شيئًا ما للشيخ ، الذى ابتسم فى ارتياح عجيب ، وتقدم نحو (نور) ، وألقى نظرة على أذنه ، ثم اعتدل قائلاً بالصينية :

ـ تلك الأشياء ، التى تساعدك على السمع والحديث ، تحل لنا مشكلة كبيرة .

ثم أشار إلى (واتسن) ، مستطردًا :

- لقد كنا مضطرين طوال الوقت ، للحفاظ على حياة رفيقكما هذا ، على الرغم من إصاباته العديدة ، لمجرد أنه الوحيد الذى يمكنه فهمنا ، أما الآن ، فلم تعد لنا حاجة به .

اتسعت عينا (واتسن) فى ارتياع ، وصرخ فى رعب :

- لا .. لا تجعلهم يفعلون هذا يا (نور) .. ليس بهذه الوسيلة البشعة الرهيبة .. لا .

وهتف (نور) :

- يا إلهى ! .. لا يمكنكم أن تفعلوا هذا .

وقال (أكرم) فى توتر شديد :

- ماذا يحدث يا (نور) .. هل سيقتله هؤلاء الأوغاد ؟ .. هل سيلقونه وسط الحمم الملتهبة ؟

ومع آخر حروف كلماته ، دفع الحراس (واتسن) إلى فجوة الحمم ، وأطلق ذلك المسكين صرخة رعب رهيبة ، وهو يهتف :

- لا ليس بهذه الوسيلة .

وامتزجت صرخته بصيحة (أكرم) :

- أيها الأوغاد .

ثم تحرك (أكرم) بسرعة مذهلة ..

وكان ما فعله هو آخر شىء يمكن أن يتوقعه الجميع .. آخر شىء على الإطلاق .

* * *

٣ ـ قلعة الطغاة ..

بكت (نشوى) فى حرارة ، وانهمرت دموعها ملتهبة غزيرة ، عندما أعلن (محمود) بصوته ، عبر شفتى (سلوى) ، أنه لا توجد أية وسيلة ، لعودة (نور) و (أكرم) إلى عالمهما ..

وانهارت (مشيرة) ، وهى تدفن وجهها بين كفيها ، وتغمرهما بدموعها ، فى حين بذل (رمزى) جهدًا بالغًا ، للسيطرة على مشاعره ، وهو يسأل (سلوى) ، الخاضعة تمامًا لحالة التنويم المغناطيسى :

- (محمود) .. أأنت واثق من أنه لا توجد أية وسيلة لعودة (نور) و (أكرم) إلينا ؟!

تنهدت (سلوى) بصوته ، قبل أن يجيب :

- صدقنى يا (رمزى) .. لو أنه توجد وسيلة واحدة لعودتهما إليكم ، لما ترددت فى السعى خلفهما ، حتى ولو كلفنى هذا حياتى نفسها ..

وصمت لحظة ، ثم قال فى تردد حذر :

- ولكن ..

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟!

التفتت (نشوى) و (مشيرة) إلى (سلوى) فى اهتمام ، وتجمّدت دموعهما فى عيونهما لحظة ، صمتت هى خلالها ، قبل أن يخرج صوت (محمود) من بين شفتيها ، قائلاً :

ـ ولكن ربما كانت هناك وسيلة لأنضم إليهما ، فى صراعهما هناك .

اتسعت عينا (مشيرة) بدهشة بالغة ، وغمغمت (نشوى) :

ـ تنضمّ إليهما ؟! .. ماذا تعنى يا (محمود) ؟

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ ذلك العالم يختلف كثيرًا عن عالمنا يا (نشوى) ، وفيه نقاط قد يمكننى عبورها إليه .

هتف (رمزى) :

ـ حقًا ؟!

أجابه (محمود) :

ـ نعم يا صديقى .. إننى أعلم هذا منذ فترة طويلة ، وأعلم أيضًا أنه لو استطعت القفز إلى ذلك العالم ، فربما يستعيد جسدى حالته المادية هناك .

سألته (مشيرة) فى لهفة :

ـ ولماذا لم تفعل هذا ؟!

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ لأنه عالم رهيب يا (مشيرة) .. عالم ثائر ، مخيف ، جعلنى أفضّل البقاء إلى الأبد فى حالتى اللامادية ، عن استعادة ماديتى على سطح كوكب مثله .. والواقع أننى لم أجد ما يدعونى لقضاء عمرى عليه ، أما الآن فالأمر يختلف .. (نور) و (أكرم) هناك ، ويحتاجان إلى معاونتى .. ربما أمكننى أن أفعل شيئًا بوجودى إلى جوارهما .

قالت (نشوى) فى انفعال :

ـ ولكنك تقول : إنه لا توجد وسيلة للعودة إلى هنا .

أجاب متنهّدًا :

ـ هذا صحيح .. إذا ما نجحت فى الانضمام إليهما ، فلن يجد ثلاثتنا وسيلة للعودة إلى عالمكم قط ، ولكن هذا لا يقلقنى .. يكفى أننى سأموت إلى جوار رفاقى ، بدلاً من أن أبقى وحيدًا هنا إلى الأبد .

سألته (مشيرة) بصوت مرتجف :

ـ هل تضحى بحياتك مرة أخرى من أجلهما ؟

أجاب بصوت يحمل مشاعر الدنيا كلها :

ـ أنا مستعد للتضحية بحياتي ألف مرة ، لو أن هذا بمقدوري ، في سبيل من أحب .

ارتجفت شفتا (مشيرة) ، وهي تغمغم :

ـ وأنا أيضًا .

ثم انفجرت باكية في حرارة ، فران على المكان صمت رهيب ، قطعه صوت (محمود) ، وهو يخرج من بين شفتي (سلوى) ، قائلاً :

ـ صدقيني يا (مشيرة) .. صدقوني جميعًا يا رفاق .. إنني لن أدخر وسعًا لإنقاذ (نور) و (أكرم) من ذلك الجحيم .. ومهما كان الثمن ..

كانت هذه آخر كلمات نطقتها (سلوى) بصوته ، قبل أن يذهب ..

ولكنه كان يعني كل حرف منها ..

وبالذات تلك العبارة الأخيرة ..

مهما كان الثمن ..

* * *

من المؤكد أن ما فعله (أكرم) ، في تلك اللحظة التي دفع فيها العملاقة (واتسن) ، إلى حفرة النار ، كان عجيبًا وعنيفًا بحق ..

وأنه لن ينمحي من ذهن (نور) ، ما بقي له من العمر ..

ففي نفس اللحظة ، التي بدأ جسد (واتسن) فيها سقوطه ، ومع الصرخة المدوية الرهيبة ، التي انطلقت من حلقه ، حاملة كل رعب الدنيا وعذابها ، دار (أكرم) على عقبيه في سرعة مذهلة ، وضمّ قبضتيه ، وهوى بهما ، بكل ما يملك من قوة ، على فك الحارس العملاق خلفه ، ثم لم ينتظر ليعرف حتى ما أصابه ، وإنما اختطف رمحه ، ودار به مرة أخرى ، ثم أطلقه بكل قوته ..

نحو (واتسن) مباشرة ..

وانتفض جسد (نور) في عنف ، وانطلقت من حلقه ، على الرغم منه ، شهقة مكتومة ، وكاد الأمير يقفز من عرشه ، وتحرك (هارلاك) في عصبية واضحة في حين أطلقت (بلوميا) صرخة أشبه بصرخة قط يستعد لخوض قتال ما ..

هذا لأن الرمح اخترق جسد (واتسن) ، في موضع القلب تمامًا ، فجحظت عينا هذا الأخير ، وهوى والرمح في جسده ، في قلب حفرة النار ، التي التهمته في ثوان معدودة ، قبل أن يفيق (هارلاك) من ذهوله ، ويصرخ في رجاله ، الذين اندفعوا نحو (أكرم) ، وأحاطوا به برماحهم في تحفز ، والعملاق الذي لكمه هذا الأخير يزمجر في غضب وثورة ، فهتف (نور) :

- ماذا فعلت أيها التعس ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم وصرامة :

- لبيت للرجل رغبته الأخيرة يا (نور) .

ردّد (نور) فى دهشة :

- رغبته الأخيرة ؟!

شدّ (أكرم) قامته ، دون أن يبدى أدنى خوف أو قلق ، من الرماح المصوبة إلى جسده :

- نعم .. ليس بهذه الطريقة .. إنه لم يرغب فى الموت بهذه البشاعة .

بُهت (نور) للجواب ، وحدّق فى وجه (أكرم) لحظات فى دهشة ، وإن تصاعدت فى أعماقه نبرة احترام ، قبل أن تشير (بلوميا) بمخالبها ، وعيناها تبرقان بشدة ، وتتحدث مع الشيخ ، الذى استمع إليها فى اهتمام ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، ويسأله :

- لماذا فعل رفيقك هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- كان يختار وسيلة موت أقل بشاعة لزميلنا .

نقل الشيخ الجواب إلى (بلوميا) ، فارتفع حاجباها لحظة فى دهشة ، ثم لم تلبث أن انفجرت ضاحكة بشدة ، فى حين عقد الأمير (مولون) حاجبيه الكثين ، وانطلقت

من بين شفتيه زمجرة أشبه بزمجرة الذئاب ، شاركه إياها القائد (هارلان) ، الذى تحدث إلى الشيخ بصرامة ، فابتسم هذا الأخير فى تشفٍ ، قبل أن يترجم حديثه إلى (نور) ، قائلاً :

- القائد (هارلاك) يقول : إنه ما دام رفيقك قد أنقذ زميله من الموت فى حفرة النار ، فليلق هو هذا المصير .

هتف (نور) فى عصبية :

- حذار أن يمسّ أحدكم شعرة من رأس رفيقى ، وإلا ..

لم يجد ما يتم به عبارته ، وهو يبحث عن تهديد مناسب ، فى هذه الظروف القاسية ، فابتسم الشيخ فى سخرية ، وسأله :

- وإلا ماذا ؟!

صمت (نور) لحظة ، ثم عقد حاجبيه فى صرامة ، مجيباً :

- وإلا فستدفعون الثمن غالياً .

لم يكد الشيخ يسمع الجواب ، حتى اهتز جسده كله ، وتألقت فى عينيه ضحكة ، لم تلبث أن انتقلت إلى حلقه ، فانفجرت مدوية ، داخل القاعة الصخرية ، التى رددت صداها فى قوة ، فسألته (بلوميا) فى لهفة وشغف عما يضحكه ، ولم يكد يخبرها ، حتى انفجرت ضاحكة

بدورها ، في حين بدا الغضب على وجه الأمير و (هارلاك) ، وأشار الأخير إلى رجاله ، وهو يلقي أمرًا ما ، فانقض اثنان منهم على (نور) ، وكبلا حركته في قوة ، في حين أمسك آخران (أكرم) من ذراعيه ، ودفعاه نحو حفرة الحمم ، فصاح في غضب :

- أيها الأوغاد القتلة .

وصرخ (نور) :

- ستدفعون الثمن أيها الحقراء .. ستدفعونه غاليًا .

ولكن أحدًا لم يبال بصياحهما وصراخهما ، وإنما واصل العملاقان دفع (أكرم) نحو حفرة الحمم ، وهو يقاومهما في استماتة ، في حين أشار (هارلاك) بإبهامه في صرامة ، مصدرًا أوامره بإلقائه في الحفرة .

وصرخ (نور) ..

وصرخ ..

وصرخ ..

وكان من الواضح أن هذا لم يعد مجديًا ..

لقد صدر أمر بإعدام (أكرم) على الفور ..

وبأبشع وسيلة في الكون ..

★ ★ ★

تقلّبت (نادية) كالمحمومة ، على ذلك الفراش الوثير ، الذي ترقد عليه في حجرتها الأنيقة المريحة ، في قلب (بشتوريا) ، وبدا لها الفراش ، على الرغم من نعومته ، أشبه بأشواك حادة ، تمزّق جسدها بلا رحمة ، وهي تؤنّب نفسها في شدة ، على استسلامها للأمر في مكان أنيق كهذا ، في حين وقع رفاقها أسرى العمالقة الطغاة بكل جبروتهم وقسوتهم ..

والعجيب أن هذه المشاعر كانت تدهشها كثيرًا ..

فالذين وضعوا برنامج المقاتلين الفضائيين ، وزرعوا ذلك الكمبيوتر الدقيق في مخها ، وأوصلوه بمراكزها الحيوية ، كانوا يتصوّرون أنهم أصبحوا قادرين على إلغاء كل المشاعر المرهفة في كيانها ، وزرع مشاعر أخرى مكانها ، تجعلها تتحرك وتتعامل من منطلق عملي بحت ..

ومن الواضح أنهم قد أقنعوها بنجاحهم في تحقيق هذا لفترة ما ، حتى إنها راحت تتصرف وتتعامل طوال الوقت ، داخل القاعدة القمرية ، كما لو أنها مجرد شخص آلي ، مجرد من كل المشاعر والأحاسيس ..

حتى وقعت الكارثة ..

الدمار الرهيب ، والآلام المبرحة ، وانهيار خطيبها (عماد) كل هذا أيقظ المشاعر الآدمية فى كيانها إلى حد ما ..

ومع مصرع (عماد) ، استعادت شعورها بآدميتها كاملاً ..

وبكت ..

وتألمت ..

وانهارت ..

واليوم ، وهى تتعذب لوجود رفاقها فى الأسر ، أدركت أنها لم تعد تلك المقاتلة الفضائية الفذة ، الخالية من أية مشاعر وعواطف ..

لقد أصبحت أنثى ..

أنثى حقيقية ، بكل ما يفيض به كيانها من انفعالات وأحاسيس مرهفة ...

ولكنها ، فى الوقت ذاته ، لم تفقد قدراتها كمقاتلة فضائية من طراز خاص ..

لذا ، فلن تقبع ساكنة هنا ..

ستقاتل من أجل رفاقها ..

ستفعل ما يمليه عليها ضميرها وواجبها ..

وفى حزم ، قفزت من الفراش الوثير ، وارتدت زيها الفضائى ، بكل ما يحويه من أسلحة وأجهزة اتصال ورصد ، وقبل أن تلف حزامها حول وسطها ، ارتفعت فجأة دقات هادئة على باب حجرتها ، فهتفت بانفعال مبالغ :

ـ من بالباب ؟!

أتاها صوت شخص يتنحنح فى حرج ، قائلاً :

ـ احم .. معذرة .. أنا (آرى) .. أردت التحدث معك قليلاً فحسب .

أدهشها قدومه إليها ، ولكنها ارتدت حزامها على عجل ، قائلة :

ـ لحظة يا (آرى) .

ثم أسرعت تفتح بابها ، فبدا فارس الفرسان البشتورى على عتبته بشعره الأبيض ، ولحيته القصيرة ، وملامحه الوسيمة ، وهو يقول :

ـ هل تسمحين لى بالدخول ؟

كان أسلوبه الرقيق المهذب يدهشها بحق ، إلا أنها أفسحت الطريق أمامه ، قائلة :

ـ تفضل .

بدا عليه الحرج بعض الشيء ، وهو يلتف إلى حجرتها ، وتركت هى بابها مفتوحًا ، وهى تسأله فى فضول حقيقى :

ـ خيرًا .

أومأ برأسه ، وهو يبتسم ابتسامة مرتبكة ، قبل أن يشد قامته ، ويحسم أمره ، قائلاً :

ـ الواقع أننى أتيت لأعتذر .

غمغمت فى دهشة :

ـ تعتذر ؟!

أجابها فى حسم .

ـ نعم يا سيدتى .. لقد تعاملت معك بخشونة وغلظة شديدتين ، عندما طلبت منا الخروج لإنقاذ رفيقيك .. هذا لا يعنى أننى أتراجع عن قرارى برفض القيام بهذا ، فأنا مسئول عن المقاتلين هنا ، وعددهم ليس كبيرًا ، حتى يمكننى المخاطرة بهم فى عملية غير محسوبة ، تحمل من عوامل الفشل ثلاثة أضعاف ما تحمله من عوامل النجاح .

سألته فى حيرة حذرة :

ـ عن أى شيء تعتذر إذن ؟!

أجابها بسرعة :

ـ عن الأسلوب الذى استخدمته ، لأشرح لك هذا .. كان ينبغى أن أقدّر اهتمامك برفيقيك ، ورغبتك الشديدة فى إنقاذهما ، فالمرء لا يمكن أن يحتمل فكرة التخلى عن رفاقه ، مهما كانت الظروف والملابسات .

ارتفع حاجباها فى دهشة حقيقية ، وهى تغمغم :

ـ عجبًا ! .. هل تعلم يا (آرى) .. أنك تبدو لى مختلفًا تمامًا ، عما كنت عليه فى مقر الحاكم !

أومأ برأسه موافقًا ، وهو يتمتم :

ـ أعلم هذا .

وأشاح بوجهه لحظة ، وكأنما يخفى انفعالاً ما ، قبل أن يتابع :

ـ ربما لأننى استعدت ذكرى سابقة ..

خيِّل إليها أن نبراته الحزينة قد اعتصرت قلبها ، وهو يضيف فى خفوت :

ـ ومؤلمة .

كم تمنت لحظتها لو أنه أفاض فى حديثه ، وروى لها شيئًا عن تلك الذكرى المؤلمة ، إلا أنه سيطر على مشاعره فى سرعة ، وسألها :

ـ لماذا ترتدين ملابسك كاملة ؟!

فاجأها سؤاله ، فارتبكت مغمغمة :

- وماذا فى هذا ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يتطلع إليها فى صمت ، ثم لم يلبث أن جلس على طرف فراشها ، وقال :

- هل تعلمين أننا نتشابه ، فى كثير من الأمور ؟!

وعلى الرغم منها ، وجدت نفسها تقول فى لهفة :

- حقًا ؟!

أومأ برأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد ، حتى إننى أستطيع أن أخبرك لماذا ارتديت ثيابك الآن .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

أنت تفكرين فى التسلل من هنا ، والسعى لإنقاذ رفيقيك وحدك .

بُهتت لقوله ، وحدقت فى وجهه بدهشة وصمت ، فتابع مبتسمًا :

- هذا نفس ما كنت سأفعله ، لو أننى فى موضعك .

هتفت مرة أخرى مبهورة :

- حقًا ؟!

أومأ برأسه ثانية ، ثم نهض قائلاً فى حزم :

- ولكن صدقينى .. هذا منتهى الحماقة .

هتفت فى دهشة :

- الحماقة ؟!

أجاب بسرعة :

- بالتأكيد .. ضعى نفسك فى موضع هؤلاء العمالقة ، الذين يتحفزون لصد هجوم ما ، ثم يجدون أمامهم بغتة فتاة وحيدة ، تتصوَّر أنها مقاتلة فذة ، وتحاول اقتحام قلعتهم المنيعة ، لإنقاذ رفيقيها داخلها .. ما الذى تفعلينه لو كنت مكانهم ؟

قالت فى عصبية :

- ربما أسخر منها فى البداية ، ولكن عندما أذوق نيران أسلحتها ، وأدرك قدراتها الفذة على القتال ، فسوف ..

قاطعها فى حزم :

- فسوف يرسلون أفواجًا وأفواجًا من العمالقة لمواجهتك والتصدى لك .

هتفت فى حدة :

- سأقتلهم جميعًا بأسلحتى المتطوِّرة .

ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

- وحتى لو أمكنك هذا ، فسيرسلون آخرين ، وآخرين .. أنت لاتدركين طبيعة هؤلاء القوم .. إنهم طغاة قساة بحق ، ولا وزن عندهم للحياة .. إنهم

سيضحون بألف رجل منهم ، فى سبيل القضاء عليك ، وصدقينى ، لن يمكنك الصمود بكل أسلحتك ، فى وجه جيش بربرى همجى ، ينقضّ عليك من كل صوب ، ويقاتل بوحشية لم تعديها ، حتى فى أبشع كوابيسك .

احتقن وجهها بشدة ، وهى تقول :

ـ إنك تبالغ كثيرًا .

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ مطلقًا .

بدت عليها الحيرة ، وهى تقول فى توتر :

ـ ولكننى لا أستطيع التخلى عن الرفاق .. لا يمكننى أن أقف ساكنة ، وهم يلاقون الأمرين داخل قلعة الطغاة .

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ رباه ! .. من العسير إقناعك بحق .. ربما لو ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتجّ المكان كله فى عنف ، فصرخت :

ـ رباه ! .. ماذا يحدث ؟!

هتف ، وهو يندفع خارج الحجرة :

ـ لست أدرى .. هذا لم يحدث قط من قبل .

انطلقت تعدو خلفه ، عبر شوارع (بشتوريا) ، التى أصيب سكانها بالفزع ، مع ذلك الارتجاج ، الذى استمرّ

لربع دقيقة كاملة ، وتساقطت معه بعض الصخور الصغيرة ، حتى بلغا مقر الحاكم ، الذى بدا منزعجًا بشدة ، فسأله (آرى) فى توتر :

ـ ماذا حدث هذه المرة ؟

أشار الحاكم بسبّابته إلى أعلى ، مجيبًا فى شحوب :

ـ إنها تلك الفجوة البيضاء .

سألته (نادية) :

ـ ماذا أصابها ؟!

ارتجف صوت الرجل ، وهو يجيب :

ـ أصابها تطوّر جديد .. تطوّر مباغت ، و ..

وارتجف صوته أكثر ، مع استطرادته :

ـ ومخيف .

وكانت مفاجأة جديدة ..

★ ★ ★

عبر الدكتور (ناظم) الممر الرئيسى للمرصد الفضائى الجديد ، فى خطوات واسعة سريعة ، حتى بلغ قبة الرصد ، فاستقبله مدير المرصد فى اهتمام ولهفة واضحين ، جعلاه يسأله فى توتر :

ـ ماذا حدث ؟! .. ما ذلك التطوّر الجديد ، الذى تحدثتم عنه ؟!

هزّ المدير رأسه في قوة ، وهو يقول :
ـ أمر مدهش يا دكتور (ناظم) ، لم نرصد مثله من قبل قط .
سأله الدكتور (ناظم) بنفاد صبر :
ـ أى أمر يا رجل ؟! .. أفصح .
جذبه المدير من ذراعه إلى شاشات الرصد ، وهو يقول :
ـ تلك الفجوة السوداء .. لقد انتزعت صخرة هائلة ، فى حجم جبل كامل ، من سطح القمر ، وجذبتها إليها بسرعة خرافية ، ولم تكد الصخرة تعبرها ، حتى تضاعف نشاط الفجوة على نحو مباغت ، وتألقت أطرافها لجزء من الثانية .. انظر .
قالها ، وهو يضغط زر الاستعادة فى شاشة الرصد ، ويقول عبر جهاز الاستقبال الصوتى أعلاها :
ـ إعادة المشهد الخاص .
مضت لحظة صامتة ، أظلمت خلالها شاشة الرصد تمامًا ، ثم بدأت إعادة البث مباشرة ، وتابع الدكتور (ناظم) نفس المشهد ، الذى وصفه مدير المرصد الجديد ، ثم هزّ رأسه ، قائلاً فى توتر :
ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابه المدير فى انفعال :
ـ الفجوة تتسع أكثر ، وبسرعة أكبر من المتوقع ، ونشاطها يتزايد على نحو عجيب ، حتى إن قوة جذبها تضاعفت فى الدقائق القليلة الماضية .
شحب وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يسأله :
ـ أتعنى أن المهلة المتاحة قد انخفضت ؟!
أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، قبل أن يغمغم :
ـ للأسف .
اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وتراجع فى هلع ، وهو يقول :
ـ رباه ! .. إذن فقد اقترب مصير الأرض .
هزّ الرجل رأسه فى مرارة ، مكررًا :
ـ للأسف يا دكتور (ناظم) .. للأسف .
التصق الدكتور (ناظم) بالجدار فى ذعر ، وتصبب على وجهه عرق غزير ، وهو يحدّق فى وجه مدير المرصد ، قبل أن يسأل :
ـ وكم تبقى لنا من الوقت .
ازدرد المدير لعابه فى صعوبة ، قبل أن يجيب :
ـ ساعة واحدة تقريبًا ، قبل أن ينهار القمر ، ويسقط فى قلب الفجوة السوداء .

سأله الدكتور (ناظم) بصوت مرتجف :

ـ وماذا عن الأرض ؟!

التقط مدير المركز نفسًا عميقًا ، وتنهّد في حرارة ، قبل أن يجيب :

ـ ستصمد لأربعين دقيقة أخرى ، على أحسن تقدير .

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) في ارتياع شديد هذه المرة ..

لقد كانت تلك النتائج الأخيرة مخيفة ، رهيبة .. وبحق ..

★ ★ ★

فجأة ، وفي نفس اللحظة التي هم فيها الحارسان العملاقان بإلقاء (أكرم) في فجوة الحمم ، دون مبالاة بمقاومته العنيفة ، وصيحاته الغاضبة ، نهضت (بلوميا) عن عرشها ، ورفعت يدها ، هاتفة بكلمة ما ، بلهجة صارمة للغاية ، تجمّد لها الجميع لحظة ، وتراجع معها الحارسان في احترام ، فالتفت إليها الأمير ، وتحدّث معها بحدة ، إلا أنها واجهته في صرامة ، جعلت (هارلاك) يتدخل محتدًا ، فالتفتت إليه ، وصرخت في وجهه بعنف شرس ..

وفي دهشة عصبية ، قال (أكرم) :

ـ ما الذي يحدث بالضبط يا (نور) ؟! .. لماذا يتشاجر هؤلاء الأوغاد ؟!

أجابه (نور) في توتر ، وهو يتابع المشهد :

ـ يبدو أنهم اختلفوا حول مصيرك يا رجل .

قال (أكرم) في سخرية ، تغلب عليها العصبية :

ـ حقًا ؟! .. ربما تفكر تلك المتوحشة في وضع بعض الزبد الطازج على جسدي ، قبل إلقائي في الفرن ، وهما يفضلان زيت الذرة .

لم ترق سخريته لـ (نور) ، في هذا الموقف العصيب ، فغمغم :

ـ ربما .

ولكنه لاحظ أن (بلوميا) سيطرت على الموقف تمامًا ، كما لو أنها الآمرة الناهية ، في تلك القلعة ، وأنها وقفت أخيرًا في اعتداد ، وأشارت بيدها للحراس ، وتحدثت قليلاً مع الشيخ ، فأومأ برأسه إيجابًا ، واتجه نحو (نور) ، قائلاً :

ـ نحن نحتاج إلى أجهزتك هذه .

قالها ، ودسّ إصبعه في أذن (نور) في عنف ، وانتزع منها جهاز الترجمة الفورية الدقيق ، وتطلّع إليه في اهتمام ، ثم جذب جهاز التحدّث من يده في قسوة ،

وفى عنف ، دفع الحارسان (نور) أمامهما ، حتى بلغا تلك الحفرة ، فألقياه داخلها ..

واتجه بهما إلى (بلوميا) ، التى التقطتهما فى لهفة ، وبرقت عيناها ببريق دموى ظافر مخيف ، ثم أشارت مرة أخرى إلى الحارسين ، اللذين يمسكان (نور) ، فجذباه فى غلظة إلى خارج القاعة ، وهو يهتف :

ـ لا تستسلم لهم يا (أكرم) .. قاتل حتى آخر رمق يا رجل .

هتف (أكرم) :

ـ القول نفسه لك يا (نور) .

ولم يفهم الحاضرون حرفًا واحدًا ، مما نطقاه بالعربية ، فانعقد حاجبا الأمير و (هارلاك) ، فى حين أطلقت (بلوميا) ضحكة عالية ، واتجهت نحو (أكرم) ، ومخالبها تبرز من كفها على نحو مخيف ..

وفى نفس اللحظة ، التى غادر فيها (نور) القاعة الصخرية مجبرًا ، تناهت إلى مسامعه صرخة ألم من (أكرم) ، أعقبها صوته يهتف :

ـ أيتها الحقيرة .

وفى عنف ، دفع الحارسان (نور) أمامهما ، حتى بلغا تلك الحفرة ، فألقياه داخلها ، وهما يطلقان ضحكاتهما الساخرة الشامتة الوحشية ..

وفى هذه المرة لم يكن السقوط عنيفًا كالمرة السابقة .

لقد أدرك (نور) طبيعة المكان ، واستخدم ما تدرب عليه من مهارات ؛ ليهبط داخله على قدميه ..

ولكن الظلام كان يحيط به من كل جانب ..

وفى مرارة ، غمغم :

ـ أيها الأوغاد .. لو مسستم شعرة واحدة من رأس (أكرم) ، فستدفعون الثمن غاليًا حقًا .

سمع من فوقه صوت القضبان الثقيلة ، والحارسان العملاقان يعيدانها إلى موضعها ، لإغلاق الحفرة ، فدفع ساقيه فى الأرض ، حتى شعر بالجدار خلف ظهره ، فاستند إليه ، وتنهد متمتمًا :

ـ ترى هل ينتهى مصيرنا هنا حقًا ؟!

كانت الفكرة مخيفة ومزعجة ، إلى أقصى حد ، إلا أنه حاول أن يتقبلها كوسيلة لافتراض أسوأ العواقب الممكنة ، وهو يفكر فيما سمعه من (واتسن) قبيل مصرعه ..

إذن فوجودهم فى هذا العالم يمنحهم ثلاثة أيام إضافية ؛ للبحث عن وسيلة لإنقاذ الأرض .

وربما لم يحدث هذا عبثًا ..

من المؤكد أنه لم يحدث عبثًا ..

هناك حكمة إلهية حتمًا وراء هذا ..

إنه يؤمن بهذا الأمر ..

وبكل كيانه ..

ولكن كيف يمكن العثور على وسيلة لإنقاذ الأرض ، فى كوكب بدائى كهذا ؟! ..

كيف ؟! ..

كان السؤال يملأ رأسه تمامًا ، عندما التقط أنفه بغتة تلك الرائحة ..

رائحة غير طبيعية ، أشبه برائحة حظيرة خيول ، لم يتم تنظيفها منذ عام كامل ..

ثم تناهت إلى مسامعه تلك الأصوات الخافتة ..

وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ..

هناك شىء ما يتحرك داخل الحفرة ..

شىء غير آدمى ..

وبأصابع متوترة ، بحث (نور) فى حزامه عن مصباحه اليدوى الصغير ، وأذناه مرهفتان لالتقاط تلك التحركات الخافتة ، التى بدت وكأنها تقترب منه أكثر وأكثر ، فى كل لحظة تمضى ..

وأخيرًا ، عثر (نور) على المصباح اليدوى الصغير ، ورفعه مغمغمًا فى توتر بالغ :

ـ والآن أيًا كنت ، دعنا نر وجهك .

قالها ، وأشعل المصباح ذا الضوء الخافت ..

ثم انتفض جسده كله فى عنف .

فأمامه مباشرة ، وعلى قيد متر واحد منه ، كان يقف حيوان مخيف ..

مخيف إلى أقصى حد ..

وفى نفس اللحظة ، التى وقع فيها بصر (نور) عليه ، أطلق ذلك الحيوان زمجرة رهيبة ، برزت معها أنيابه الحادة الطويلة ، التى جعلته أشبه بالنمر و ...

وانقض ..

وبكل وحشية .

* * *

٤ ـ عبر الخطر ..

لم يشعر (أكرم) لحظة واحدة بالارتياح ، منذ نقله الحارسان القويان من قاعة العرش ، إلى تلك الحجرة الواسعة ، التى يحتلها عملاق بدين ضخم الجثة ، قيده فى إحكام إلى جدار رطب ، بأغلال معدنية قوية ، قبل أن تدلف (بلوميا) إلى الحجرة ، وخلفها ذلك الشيخ السادى الضئيل ، وعيناها تتألقان ببريق دموى مخيف ..

وبنظرة عجيبة ، راحت تتطلع إلى (أكرم) ، وشفتاها الزرقاوان تحملان ابتسامة وحشية غريبة ..

ثم تحدثت إلى الشيخ ..

تحدثت إليه طويلاً ، وهى ترمق (أكرم) بنظرة غريبة ، فابتسم الشيخ فى خبث ، ثم اتجه إلى (أكرم) ، ودفع جهاز الترجمة إلى أذنه فى قسوة ، جعلته يهتف :

ـ احترس أيها الوغد .. إنك لا تتعامل مع لوح مثلك .

أطلقت (بلوميا) ضحكة عالية ، وكأنما تروق لها ردود أفعاله ، فى حين تجاهل الشيخ قوله ، وهو يدفع جهاز التحدث أمام شفتيه ، ويقول بالصينية :

ـ أميرتنا تقول : إنك تروق لها كثيرًا ، وأنها لم تر شخصًا يفعل مثلك قط ، طوال عمرها كله .

أجابه (أكرم) فى سخرية :

ـ أمر طبيعى ، فهى تحيا منذ مولدها مع أوغاد .

انعقد حاجبا الشيخ ، وتجاهل ترجمة العبارة ، ولكن الأميرة سألته عنها فى خشونة ، ودار بينهما حديث قصير ، حسمته هى بعبارة صارمة ، فخفض الشيخ عينيه لحظة ، ثم ترجم لها عبارة (أكرم) ، فارتفع حاجباها لحظة فى دهشة ، ثم لم تلبث أن أطلقت ضحكة مجلجلة ، واقتربت من (أكرم) ، وراحت تموء فى وجهه على نحو أدهشه ، وجعله يغمغم :

ـ عجبًا ! .. دور القطة لا يناسبك أيتها الأميرة .. ما رأيك فى لعب دور أنثى ذئب مسعورة ؟!

لم تسأل الأميرة شيخها عما قاله (أكرم) هذه المرة ، وإنما أطلقت مواءً آخر ، ثم برزت مخالبها الحادة الرفيعة من أناملها ، وراحت تخمش بها صدره ، فى بطء ، فقال فى عصبية :

ـ ماذا تنتظرين أيتها اللعينة ؟! .. اغرسيها .. هيا .. أشبعى تلك السادية الدموية فى أعماقك .. تمتعى برؤية دمى يراق .

كان واثقًا من أنها لم تفهم حرفًا واحدًا مما قاله ، وعلى الرغم من هذا ، فقد انغرست مخالبها بغتة فى صدره ، فكتم صرخته بإرادة فولاذية ، وهو يقول فى غضب :

ـ لن أمتعك بسماع صراخى أيتها اللعينة .

انتزعت مخالبها من صدره فى قسوة ، وعادت تغرسها فى موضع آخر ، وسالت الدماء من جروحه ، إلا أنه لم يطلق صرخة ألم واحدة ، وإنما أفرغ عذابه فى هتاف واحد :

ـ أيتها السادية اللعينة المجنونة .

انعقد حاجباها فى غضب ؛ لأنه لم يبد ألمه ، وتراجعت فى حركة حادة ، وهى ترمقه بنظرة وحشية ، قبل أن تلتفت إلى الشيخ ، وتتحدث إليه فى عصبية ، فاستمع إليها فى اهتمام ، ثم التفت إلى (أكرم) ، قائلاً :

ـ الأميرة تقول : إنه يبدو أنك تفضل حفرة النار .

أجابه (أكرم) على الفور :

ـ بالتأكيد ، لو أن هذا يعفينى من رؤية وجهها البغيض .

احتقن وجه الشيخ ، وزادت زرقته على نحو ابتسم له (أكرم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ ماذا دهاك أيها الوغد ؟! .. ألا تجرؤ على ترجمة كلماتى إليها ؟!

رمقه الشيخ بنظرة غاضبة ، ثم التفت إلى الأميرة ، وترجم لها عبارته بلهجة حادة مستفزة ، وكأنه يحثها على الانتقام ، إلا أن الأميرة فاجأته بضحكة مجلجلة ، قبل أن تلتفت إلى البدين الضخم ، وتشير إليه بأناملها ، فشدّ قامته ، وبرقت عيناه فى ارتياح ، ثم تقدّم بدوره نحو (أكرم) ، فابتسم الشيخ فى شماتة ، قائلاً :

الآن ستذوق قبضة (مونستار) .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى هوى الضخم بقبضته كالقنبلة على معدة (أكرم) ، الذى انطلقت منه شهقة عنيفة ، وخيّل إليه أن معدته قد قفزت عبر حلقه ، قبل أن يعيدها ذلك البدين إلى أعماقه بلكمة أخرى فى فكه ، كادت تحطّم أسنانه ..

ولم يتوقّف (مونستار) عند هذا الحد ..

لقد توالت لكماته القوية على معدة (أكرم) وصدره ، وفكه ، فى قسوة منقطعة النظير ، والأميرة (بلوميا) تطلق ضحكاتها الساخرة ، وعيناها الدمويتان تبرقان أكثر وأكثر ..

وبوحشية تامة ..

* * *

انقضّ ذلك الوحش الشبيه بالذئب على (نور) فى عنف وشراسة ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، كفيلة ببث الرعب فى أكثر الرجال قوة وشجاعة ، ومخالبه الحادة مستعدة لتمزيق جسد ضحيته بلا رحمة ..

ولكن (نور) لم يكن بالرجل العادى ، الذى يمكن أن ينهار ، أو يفقد عقله وقدرته على التفكير ، إزاء موقف كهذا ..

إنه رجل مخابرات علمية متميّز ..

ومقاتل من طراز فذّ ..

كما أن تجاربه وخبراته ، فى مواجهة المخاطر المختلفة ، جعلته أكثر قوة وصلابة من أقرانه ، على الرغم من تفوّقهم وتميُّزهم ..

لذا فقد تحرّك بسرعة مدهشة ، عندما انقضّ الوحش فمال جانبًا متفاديًا انقضاضته ، ثم هوى على فكه بلكمة ، أودعها كل قوته ..

وكانت المفاجأة هذه المرة من نصيب الوحش ، الذى أدهشته اللكمة القوية ، وأربكته ، فتراجع فى حدة ، وزمجر مرة أخرى فى غضب ..

وفى سرعة ، استدار (نور) لمواجهته ثانية ، على ضوء المصباح الخافت ، والتقت عيونهما لحظة ، قبل أن يتراجع الوحش ، ويطلق زمجرة ثانية ، ثم ينقض ..

وتحرك (نور) بسرعة ، محاولاً تفادى انقضاضته ، كما فعل فى المرة الأولى ، إلا أنه ارتطم بجدار الحفرة فى عنف ، فسقط مصباحه اليدوى ، وانغرست مخالب الوحش فى كتفه ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه زمجرة هذا الأخير فى أذنه اليسرى مباشرة ، ولفحت أنفاسه الحارة وجهه ..

وعلى الرغم من آلامه ، دار (نور) على عقبيه فى سرعة ، وأمسكت يده القوية عنق الحيوان ، وانغرست فيه أصابعه الفولاذية ، وهو ينتزعه عن ظهره ، ويضرب به الجدار فى عنف ..

وانطلقت من الحيوان صرخة ألم وغضب ، وهو يتراجع بسرعة ، ثم يزمجر مستعداً لهجوم جديد ..

ولهث (نور) ..

لهث من فرط الجهد والانفعال ، وهو يتطلّع إلى الوحش الغاضب ، على ضوء المصباح الخافت ..

كان يعلم أن القتال غير متكافئ بحق ..

وأن ذلك الحيوان يفوقه قوة ..

واحتمالاً ..

ويدرك جيداً أن النهاية لن تأتى لصالحه أبداً ..

وكان هذا يقلقه بشدة ..

يقلقه ؛ لأن مصيره ربما يرتبط بمصير الأرض ..

ونهايته قد تعنى نهايتها ..

هذا لو أن وجوده يمكن أن يأتى بجديد ؛ لإنقاذ الأرض من مصيرها الرهيب المحتوم ..

لو ..

وبكل ما تبقّى فى جسده من قوة ، استعدّ (نور) لمواجهة ذلك الوحش ثانية ، وتحرك بمحاذاة الجدار و ...

وفجأة ، لمح تلك الكتلة البرتقالية فى الركن ..

واتسعت عيناه فى شدة ..

إنه نفس الكائن الشبيه بالثعبان ، والذى حاول بعضه قتل (أكرم) ، وسط الأطلال القرمزية(*) ..

هؤلاء العمالقة الأوغاد لم يدخروا جهداً للقضاء عليه ..

لقد وضعوا وحشين فى الحفرة ، التى ألقوه فيها ، ليضمنوا القضاء عليه بأحدهما ، إن لم يكن بالاثنين معاً ..

وامتلأت نفس (نور) بمزيج من الغضب والحنق ، وهو يغمغم :

ـ يا للأوغاد !

(*) راجع قصة (الفجوة السوداء) .. المغامرة رقم (١١٠)

ثم تحرك فى حذر نحو تلك الكتلة البرتقالية ، والحيوان يتابعه ببصره ، ويطلق زمجرة عصبية ، فهتف به (نور) فى صرامة :

- هيا أيها الوغد .. اهجم .. إننى أنتظرك .. هيا .

تراجع الحيوان خطوة حذرة ، وهو يطلق زمجرة غاضبة ، ثم انقض على (نور) مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كان (نور) ينتظر انقضاضته ويتوقعها ؛ لذا فقد وثب مبتعدًا فى اللحظة الأخيرة ، وهو يهتف :

- فعلتها أيها الوغد .

أطلق الحيوان زمجرة غاضبة ، عندما تفادى (نور) انقضاضته ، ولكن لم يكد يهبط على قوائمه عند الركن ، حتى وثب مذعورًا ، وانطلق منه صوت أشبه بعواء مذعور ..

وفى نفس اللحظة ، وثب الكائن البرتقالى ..

وأطبق بفكيه العريضين على عنق الحيوان ..

وفى هلع وذعر وألم ، راح الحيوان يطلق صرخات رهيبة ، ويضرب جسده بالجدار ، ويتقلّب فى عنف ، ويضرب بقوائمه فى الهواء ، فى محاولة للتخلص من ذلك الكائن البرتقالى ، الذى ازداد تشبثًا به ، وأدار لسانه الطويل حول عنقه ، ثم راح يعتصره فى بطء وقوة ..

ولثوان ، راح (نور) يراقب ذلك الصراع الرهيب ، ثم لم يلبث أن وثب يختطف مصباحه اليدوى الصغير ، وهو يغمغم فى توتر :

- رائع .. الوحش سيذهب ضحية ذلك الكائن البرتقالى،.. كيف يمكننى التخلص من المنتصر بعدها .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انتبه فجأة إلى تلك الفجوة الواسعة ، عند قاعدة الجدار ..

كان ضوء مصباحه خافتًا للغاية ، إلا أنه لمح الفجوة ، وبدا له من الواضح أن ذلك الحيوان هو الذى صنعها بمخالبه ؛ ليصل إلى الحفرة ؛ لأنها لم تكن منتظمة أو متقنة ..

وفى انفعال ، هتف (نور) وهو يتجه نحوها :

- إذن فقد ظلمت هؤلاء العمالقة الأوغاد .. أنت الذى جئت إلى هنا بإرادتك ، وليسوا هم من ألقوك .

كانت الفتحة واسعة إلى حد يكفى لمرور جسده ، وبدا له على ضوء مصباحه اليدوى الخافت ، أنها نهاية نفق قصير ، يمتدّ إلى مترين فحسب ، ثم ينتهى بتجويف واسع ، يأتيه منه صوت أشبه بخرير المياه ..

وفى اهتمام بالغ ، قال (نور) :

- رباه ! .. يبدو أن وصولك إلى هنا كان ضربة حظ بحق أيها الحيوان .. بل هو قدرنا ، ومصيرنا الذى كتبه الخالق (عزّ وجلّ) .. لا ريب في أن رائحتنا هى التى جذبتك إلينا ، دون أن تدرى أن قدومك فيه موتك وحياتنا .

كانت أصوات الصراع قد توقفت ، فألقى ضوء مصباحه الخافت داخل الحفرة ، ورأى الحيوان جثة هامدة ، وذلك الكائن البرتقالى ما زال يقبض على عنقه بلسانه وفكيه ، وكأنما يرغب فى التيقن من مصرعه ، قبل أن يبدأ فى التهامه ، فغمغم :

- وما تدرى نفس بأى أرض تموت .

قالها ، ودفع جسده عبر التجويف ، وعقله يدور حول نقطة واحدة ..

ترى ما مصير (أكرم) ؟! ..

وما الذى يمكن أن يفعله من أجله ، لو أنه استطاع الخروج من هذا الجحيم ؟! ..

كان شديد اللهفة لعبور ذلك النفق ، على أمل أن يقوده إلى شاطئ أمان ، يمكنه منه القيام بأية محاولة جادة ؛ لإنقاذ رفيقه ، أو البحث عن وسيلة لدرء الخطر القادم الذى يهدد عالمه ، وهذا العالم المخيف ..

وبسرعة ، وقبل أن يفرغ الكائن البرتقالى من فريسته ، ويلتفت إليه ، راح (نور) يزحف عبر النفق القصير ، ومصباحه اليدوى يزداد خفوتًا ، وخفوتًا ، مع ضعف مصدر الطاقة داخله ..

ثم بلغ نهاية النفق ..

بلغها وضوء مصباحه يبلغ نهايته ، ويبدو أشبه بذبالة شمعة صغيرة ، فى ليل بهيم ..

وعلى ذلك الضوء الشديد الخفوت ، حاول (نور) أن يلقى نظرة على الفراغ الواسع فى نهاية النفق ، والذى ينقل إليه خرير مياه تجرى فى قلب الجبل ..

وفى حيرة ، تمتم (نور) :

- تُرى أهذا هو النهر الدموى ، الذى يجرى تحت الصحراء ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى انهار النفق من تحته مباشرة ، فاختل توازنه ، ووجد نفسه يهوى من ارتفاع شاهق ..

ثم يسقط فى ماء بارد ..

وعميق ..

وغاص (نور) لمترين كاملين فى أعماق الماء ، والظلام يحيط به تمامًا ، قبل أن يضرب الماء بذراعيه ويصعد إلى السطح ..

كان من الواضح أنه قد سقط فى ماء جار ، يتجه بسرعة متوسطة إلى مكان ما ..

وكانت هناك رائحة عجيبة فى المكان ..

رائحة أشبه ببخار ماء ، يمتزج بمعدن مشتعل ..

ووسط الظلام الدامس ، راح (نور) يضرب بذراعيه فى الماء ، على غير هدى ، وقد فقد مصباحه اليدوى مع سقوطه ..

وراحت درجة حرارة الماء ترتفع تدريجيًا ، على نحو أقلقه ، خاصة وأن الرائحة تزايدت أكثر ، وأكثر ..

ثم تناهى إلى مسامعه صوت خفق له قلبه فى عنف ..

صوت مسقط مياه قوى ، وهدير شلال ، يمتزج بفحيح يشبه ذلك الذى تسمعه ، عندما تصب بعض الماء على معدن ساخن ..

وفى الوقت نفسه تضاعفت سرعة جريان الماء ، وتبدد الظلام الدامس بعض الشىء ، بضوء باهت يأتى من بعيد ..

وعلى بصيص الضوء ، شاهد (نور) ما حوله لأول مرة ..

كان بالفعل داخل نهر أحمر ، يجرى بين جدران صخرية عالية ، تكاثفت على قمتها قطرات ماء من البخار المنتشر فى المكان ..

ولم يكن هناك شىء واحد ، يصلح لأن يتعلّق به (نور) ، أو يمكن أن يستخدمه ؛ للتخفيف من سرعة اندفاعه نحو مصدر الضوء ، الذى راح يتزايد ، ويتزايد ، ويتزايد ..

ثم اتضحت الرؤية بغتة ..

واتسعت عينا (نور) فى شدة ..

فذلك النهر الأحمر كان يجرى فى سرعة ؛ لينتهى إلى شلال كبير ، يصب بهدير قوى فى مكان ما ..

ومن الناحية المقابلة ، كان الضوء يصدر عن نهر آخر ..

نهر من الحمم الملتهبة ، ينتهى أيضًا بشلال من اللهب ، يصب فى المكان نفسه ..

وكان هذا يعنى أن (نور) سيسقط بعد قليل فى بحيرة يمتزج فيها الماء بالحمم ..

بحيرة تبلغ درجة حرارة المياه فيها ما يكفى ؛ لإنتاج كل هذا القدر من بخار الماء ..

بحيرة فى درجة الغليان ..

* * *

لم يشعر (أكرم) ، فى حياته كلها ، بكل هذا القدر من الألم ، والغضب ، والثورة ..

والعجز ..

فذلك العملاق (مونستار) ظلّ يضربه ويلكمه بمنتهى القوة والقسوة ، وهو مقيّد بتلك الأغلال المعدنية إلى الجدار ، والأميرة (بلوميا) تطلق ضحكاتها السادية ، والشيخ يبتسم فى سخرية وشماتة ..

وأخيرًا ، وبعد أن كاد يفقد وعيه تمامًا ، أشارت الأميرة إلى العملاق ، فتوقّف عن ضرب (أكرم) ، وتراجع إلى ركن الحجرة ، وقبضته الزرقاء ملوثة بدماء (أكرم) الحمراء ، وتقدّمت الأميرة من هذا الأخير ومسحت الدماء من ركن شفتيه بأناملها ، ثم لعقتها بلسانها فى تلذّذ واضح ، قبل أن تقول شيئًا ما ، وعيناها تبرقان على نحو عجيب ، فترجم الشيخ قولها ، قائلاً :

ـ الأميرة تقول : إن دماءك حلوة المذاق ، وتساءل : أكل شعبكم تجرى فى عروقه الدماء نفسها .

شعر (أكرم) بالاشمئزاز ، من هذه العبارة الدموية المقزّزة ، وغمغم فى حدة وألم :

ـ أخبرها أننى ، إذا ما نجحت فى الخروج من هذا المأزق ، سأبذل قصارى جهدى ؛ لتسيل دماؤها القذرة ، حتى تلقى حتفها .

ابتسم الشيخ فى سخرية ، ونقل العبارة إلى الأميرة ، التى تألّقت عيناها أكثر ، وتطلّعت إلى (أكرم) لحظات فى صمت ، ثم اندفعت نحوه بغتة ، وهوت على وجهه بصفعة قوية ، تناثرت معها الدماء من جرح شفتيه ، فهتف فى غضب :

ـ أيتها الحقيرة .. اقسم بكل عزيز لدىّ أن تدفعى ثمن هذه الصفعة غاليًا .. غاليًا جدًا .

نقل إليها الشيخ قوله ، فأمسكت شعره ، وجذبته فى قسوة ، وهى تهتف فى وجهه بعبارة ما ، ترجمها الشيخ ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك قد أثرت غضب الأميرة وضيقها إلى أقصى حد ، فهى تقول : إنها تفكر جادة فى إعادتك إلى حفرة النار ، لعل هذا يكون عقابًا كافيًا لك .

ابتسم (أكرم) فى سخرية ، وقال فى تهالك :

ـ قل لها : أن تذهب إلى الجحيم ، فبكل هذا التعب فى كل عظمة وخلية فى جسدى ، سألقى حتفى فور ملامسة الحمم ، ولن أتعذب لحظة واحدة .

التقى حاجبا الشيخ فى ضيق ، وكأنما لا يروق له هذا القول ، ولكنه ترجمه للأميرة بكل أمانة ، فشاركته التقاء الحاجبين ، وهى تفكر فى عمق ، قبل أن تلتفت

إلى الشيخ ، وتتحدث إليه طويلاً ، فترجم هو حديثها ، قائلاً :

- الأميرة تقول : إنها ستبقى عليك بعض الوقت ، حتى تستعيد نشاطك كله ، ثم تلقى بك فى حفرة النار .

غمغم (أكرم) فى سخرية :

- يا لرقة مشاعرها !

لم يكن بإمكان (بلوميا) أن تفهم حرفًا واحدًا مما نطقه ، إلا أنها أدركت من طريقة نطقه وأسلوبه أنه يسخر منها ، فهوت على وجهه بصفعة أخرى قاسية ، وهى تصرخ فى غضب جنونى ، ثم راحت تهتف بشىء ما ، فى وجهى الحارسين العملاقين ، برقت له عينا الشيخ السادى فى ظفر وشماتة ، فقال (أكرم) بلهجة ساخرة مستفزة :

- لا داعى للترجمة أيها المأفون .. أراهن على أنها كلمات غاضبة بذيئة .. أليس كذلك ؟

تجاهل الشيخ سؤاله تمامًا ، فى حين اندفع العملاقان نحوه ، وحلا أغلاله المعدنية ، ثم كبلا حركته فى قسوة ، ودفعاه أمامهما فى عنف وغلظة ، عبر تلك الممرات الصخرية ، حتى بلغا الحفرة ، والشيخ يتبعهما فى صمت ، وعيناه تتألقان بشماتة ظافرة ، وبينما كان

أحد العملاقين يرفع القضبان الثقيلة من فوق الحفرة ، قال الشيخ فى تشفٍّ :

- الأميرة أمرت بإلقائك فى الحفرة مع زميلك ، ويقتلك فورًا وبلا رحمة ، عند أول محاولة للفرار .

قال (أكرم) فى سخرية :

- ألم أقل لك : إنها رقيقة المشاعر ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت من حلق العملاق ، الذى يرفع القضبان ، صرخة غاضبة ، وراح يشير إلى داخل الحفرة فى عصبية ، فاندفع الشيخ يلقى نظرة داخلها ، وارتفع حاجباه فى شدة ، قبل أن يعود إلى (أكرم) ، قائلاً فى سخرية شامتة :

- يبدو أن رفيقك قد رحل .

هتف (أكرم) :

- هرب ؟!

قهقه الشيخ ساخرًا ، وهو يجيب :

- بل انتهى فى معدة (بينداروز) :

لم يفهم (أكرم) ما هو (البينداروز) هذا ، حتى جذبه العملاق الآخر نحو الحفرة فى قسوة ، والشيخ يشير داخلها ، قائلاً :

- انظر .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى شدة ، ثم عادا يلتقيان فى توتر بالغ ، وهو يحدق فى الكائن البرتقالى ، الذى استقرّ صامتًا ساكنًا فى الركن ، وقد انتفخ منتصفه على نحو عجيب ، يوحى بأنه قد ابتلع على التو جسمًا ضخمًا ، يفوق حجمه وسمكه عشرين مرة على الأقل ..

وبنفس السخرية الشامتة ، قال الشيخ :

- انظر ذلك التجويف الواسع هناك .. لا ريب فى أن (البينداروز) قد تسلل عبره إلى الحفرة ، وانقضّ على رفيقك وسط الظلام الدامس .. و (البيندراوز) له طريقة فريدة ، فى التعامل مع فرائسه .. فهو ينقض على الفريسة ، ويقبض على عنقها بفكيه القويين ، ثم يمدّ لسانه ليحيط بالعنق ، ويعتصره حتى الموت ، وبعدها يتسع فكاه على نحو مدهش ، حتى يبتلع الفريسة كلها ، مهما بلغ حجمها ، ويدفعها بتقلصات جسده ، حتى تصل إلى معدته ، فيجلس صامتًا تمامًا ، حتى يهضمها عن آخرها .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

- ومن الواضح أن ذلك الانتفاخ الرهيب فى معدته ، هو جسد رفيقك الـ ..

قبل أن يتمّ الشيخ عبارته ، صرخ (أكرم) فى غضب هادر :

- أيها الأوغاد .

ثم اندفع نحو الشيخ ، ودفعه أمامه فى عنف ، وصرخته تمتدّ وتمتدّ ، وتمتزج بصرخة الشيخ ، وصياح الحارسين ، وهو يسقط مع الشيخ داخل الحفرة ، ويرتطمان بأرضيتها فى عنف ..

وتأوّه الشيخ فى ألم مبرح ، وذعر بلا حدود ، وجحظت عيناه ، وازداد وجهه زرقة ، حتى قارب السواد ، و (أكرم) يهتف :

- هيا .. ذق شيئًا من العذاب أيها المأفون . تعلّم كيف تكون الآلام ، التى تتلذّذ برؤيتها على الآخرين .

كان من الواضح أن الشيخ قد أصيب بكسور فى ذراعيه وحوضه ، من عنف صرخاته وآلامه ، فوثب أحد العملاقين داخل الحفرة ، وجذب (أكرم) من فوقه فى غضب ، وزمجر فى وحشية ، ثم ألقاه بكل قوته ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط أرضًا ...

أما (البيندراوز) ، فلم يتحرك من مكانه قط ..

لقد امتلأت معدته بوجبة دسمة أكثر من المعتاد ، ولم يعد بمقدوره أن يناور ، أو يبتعد ، قبل أن ينتهى من هضمها عن آخرها ..

وفى أعلى الحفرة ، أطلق الحارس الآخر صرخة غاضبة ، وهو يلوّح بالمشعل فى يده ، وعلى ضوئه

ثم اندفع نحو الشيخ ، ودفعه أمامه فى عنف ، وصرخته تمتدّ وتمتدّ ، وتمتزج بصرخة الشيخ ، وصياح الحارسين ..

انقضّ رفيقه على (أكرم) ثانية ، ورفعه فى قوة ، ثم ألقاه عبر الحفرة فى غضب ، فارتطم بالجدار مرة أخرى ، وسقط أرضًا ..

واعتدل الحارس يطلق زمجرة قوية ، ويضرب صدره بقبضتيه الضخمتين ، كغوريلا غاضبة(*) ، فى حين راحت أصابع (أكرم) تعبث بجيبه فى سرعة ، وتخرج منه شيئًا ما ، لم يدرك العملاق ماهيته ، فأطلق صرخة غاضبة أخرى ، وانقضّ على (أكرم) ، وجذبه من قدميه فى عنف ، ثم رفعه إلى أعلى ، وزمجرته ترجّ جدران الحفرة فى قوة ..

وكان من الواضح أنه سيضرب رأسه بالأرض هذه المرة ..

وبكل القوة فى عضلاته الرهيبة ، التى تفوق عضلاتنا بثلاث مرات على الأقل ..

وهذا يعنى أن رأس (أكرم) سيتهشّم مع الضربة .. تمامًا .

* * *

(*) الغوريلا : من القردة العليا الشبيهة بالإنسان ، تستوطن المنطقة الغربية من (إفريقيا) الاستوائية ، وهى أضخم القردة العليا ، وعلى الرغم من ضخامتها وشكلها المخيف ، فهى تتغذى بالمواد النباتية .

٥ - نهر النار ..

اندفع جسد (نور) مع ذلك النهر الأحمر ، نحو الشلال الكبير ، الذى يصبُّ مع الحمم فى فجوة واحدة ، تتصاعد منها أبخرة كثيفة للغاية ، توحى بدرجة الحرارة المرتفعة للغاية ، والتى تقارب درجة الغليان(*) ، من جراء امتزاج الماء بالحمم الملتهبة ..

وبكل قوته ، راح (نور) يضرب الماء بذراعيه ، فى محاولة للابتعاد عن مصب المياه ، والنجاة من السقوط فى قلبْ المياه الملتهبة ، ولكن ضرباته كلها راحت هباءً ، مع قوة اندفاع المياه ، والجدران الصخرية العالية ، التى تحيط بها ..

وتزايدت سرعة اندفاعه عبر النهر الأحمر ، على نحو مخيف ، وتعالى هدير الشلال ، حتى كاد يصمّ أذنيه ، مع صوت ذلك الفحيح الرهيب ، لامتزاج الماء والنار ،

(*) درجة غليان الماء هى مائة درجة مئوية ، تحت الضغط الجوى العادى .

والأبخرة الكثيفة ، ذات الحرارة العالية ، التى تكاد تشوى جسده شيًا ..

ثم بلغ جسده المصب ..

واندفع فى الفراغ ..

وكان المشهد رهيبًا ..

رهيبًا ..

وإلى أقصى حد ..

فعلى عمق عشرة أمتار من موقع اندفاعه ، كان النهر يصب فى بحيرة هائلة ، ليمتزج بالحمم المتدفقة ، والتى تجعل مياه البحيرة فى حالة غليان دائم ، فتتصاعد منها أبخرة كثيفة ، تعود لتتكثّف مرة أخرى على الجدران الصخرية ، لتسيل مع النهر ..

ومع اندفاعه فى الهواء ، لم يعد هناك مفرّ من سقوطه فى البحيرة ، وسط الماء المغلى ، و ...

وفجأة ، لمح ذلك الحبل السميك ..

حبل يمتدّ فى الهواء ، على ارتفاع ثمانية أمتار من البحيرة ، بحيث لا يمكن أن تلمحه ، إلا بعد أن تتجاوز نقطة المصب ..

ولقد لمحه (نور) ، وهو يهوى فى الفراغ ..

وجاء رد فعله سريعًا ..

ومدهشًا ..

لقد أمال جسده بسرعة خرافية ؛ ليندفع نحو ذلك الحبل السميك ، وقبض عضلاته كلها ، هو يهبط فوقه ، ويرتطم به في عنف ..

وكما يحدث لكرة مطاطية مرنة ، ارتطم جسد (نور) بالحبل السميك ، ثم ارتدّ إلى أعلى ، ثم عاود الهبوط ..

وفي هذه المرة تعلّق بالحبل ..

تعلّق به بذراعيه دفعة واحدة في قوة ، مثلما يتشبّث غريق في بحر متلاطم ، بآخر أمل له في النجاة .. بقشة ..

وعلى الرغم من رد الفعل العنيف ، وارتجاجة جسده القوية ، لم يتخل (نور) عن الحبل ، وهو يهتف :

ـ رباه ! .. حمدًا لله .. حمدًا لله .. من الواضح أن ساعتي لم تحن بعد ، على الرغم من كل ما نواجهه ..

كان هدير الشلال رهيبًا ، ويصنع مع ذلك الفحيح صوتًا مخيفًا ، والبخار الساخن يتصاعد بكميات هائلة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد تعلّق (نور) بالحبل السميك في قوة ، وراح يدفع جسده لينزلق فوقه ، في اتجاه ما بدا له كصخرة هائلة ، تمتدّ من الجدار ، وتصلح للوقوف والاستقرار ..

وفي أعماقه ، راح هتاف يتصاعد ..

مستحيل أن يكون كل هذا مجرّد صدفة !!

مستحيل ! ..

الله (سبحانه وتعالى) يمهّد له سبل النجاة لسبب ما ..

ومن المؤكد أن هذا السبب لا يتعلّق به ..

لا يتعلّق بخيره وحده ..

بل هو أمر فيه خير للكثيرين حتمًا ..

فقط يمهّد الله (سبحانه وتعالى) له السبيل ، ليكون وسيلته (سبحانه) في توصيل الخير للآخرين ..

أو لإنقاذهم ..

لإنقاذ البشرية كلها ..

هذا هو التفسير الوحيد للمصادفة ! ..

ولنجاته ..

وبسرعة ، بلغ الصخرة الضخمة ، التي ينتهي إليها الحبل السميك ، وألقى جسده فوقها ، وهو يلهث في شدة ، والعرق يغمر جسده كله في غزارة ..

ولدقيقة كاملة أو يزيد ، أغلق عينيه ، وحاول أن يسترخي فوق الصخرة ؛ ليستعيد نشاطه ، ويسيطر على جأشه ، ثم لم يلبث أن نهض واقفًا ، وهو يعيد دراسة موقفه كله ..

ولوهلة ، لم يصدق أنه قد نجا من هذا الموقف الرهيب ، ولكن عينيه تتبعتا ذلك الحبل السميك ، ثم ارتفع حاجباه في دهشة بالغة ، عندما لاحظ أن نهايته مثبتة في حلقة كبيرة ، تم غرسها في الجدار الصخري بوسيلة متقنة للغاية ، تفوق ما يمكن أن يذهب إليه العمالقة .

وفي حيرة ، غمغم (نور) :

ـ عجبًا ! .. هذا الحبل تم وضعه هنا عمدًا ، ولهدف ما .

كان الوهج المنبعث من الحمم خافتًا متراقصًا ، ولكن (نور) راح يفحص الجدار الصخري على ضوئه في اهتمام بالغ ، قبل أن يرتفع حاجباه في دهشة ، وهو يهتف في انفعال :

ـ رباه ! .. هذا الجدار ليس صخرًا طبيعيًا .. إنه مدخل صناعي لمكان ما .. يا إلهي ! .. أهذا أمر حديث ، أم أنه جزء من تلك الحضارة البائدة ، التي تركت خلفها الأطلال القرمزية ..

وراحت أصابعه تتحسس الجدار الصناعي في لهفة شديدة ، وشفتاه تتمتمان :

ـ نعم .. إنه باب من المعدن ، وها هي ذي حدوده .. إنه يناسب قومًا في حجمنا ، وليس في حجم هؤلاء

العمالقة .. يا إلهي ! .. كل شيء يثبت أنه كانت هناك حضارة أخرى على كوكب الطغاة هذا .. حضارة تشبه حضارتنا إلى حد كبير .. نعم .. بالتأكيد .. هذا الجزء الخشن في الركن هو جهاز استقبال صوتي ، دون أدنى شك ، وهذا يعني أن كل ما يحتاج إليه الأمر هو كلمة سر ، يلتقطها جهاز الاستقبال الصوتي هذا ، فيدير رتاجًا خاصًا ، وينفتح الباب مباشرة .. نفس ما حدث في قصة (على بابا) والأربعين لصًا .. افتح يا سمسم .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

ـ ولكن ما كلمة السر المطلوبة ؟!

كان العقل والمنطق يؤكدان أن التوصل إلى كلمة سر ، قادرة على تشغيل رتاج إلكتروني ، في كوكب آخر ، يستخدم سكانه لغة لم تعرفها الأرض قط ، أمر مستحيل تمامًا ، ولا يمكن أن تبلغ نسبة نجاحه أكثر من واحد في كل ألف مليار ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد أخذ (نور) يعتصر ذهنه ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

وفي أعماقه ، كان يشعر بأنه من المستحيل أن تتوقف الأمور عند هذا الحد ..

من المستحيل تمامًا ! ..

الأرض يهددها خطر رهيب ، والظروف تتضافر لوضعه فى موقف ، ربما يجعله الشخص الوحيد ، فى العالم أجمع ، أو ربما فى الكون كله ، الذى يمكنه إنقاذها ..

القدر أراد له هذا المصير ..

ولا يمكن أن يتخلى عنه الآن ..

لا يمكن ..

ولكن كيف ؟!

العثور على كلمة السر ، لفتح هذا الباب الصناعى ، أمر مستحيل ، بأى مقياس علمى أو منطقى أو إحصائى ..

مستحيل ! ..

مستحيل ! ..

لماذا إذن يشعر فى أعماقه أنه قادر على معرفة كلمة السر هذه ؟!

لماذا ؟!

ارتفع صوت الفحيح فجأة ، على نحو يفوق ضعف ما كان عليه ، فالتفت بحركة حادة ، فى نفس اللحظة التى بدأ المكان كله يرتج فيها فى بطء ..

واتسعت عيناه فى ارتياع ..

فقد كان من الواضح أن مصدر الحمم يمرّ بمرحلة نشاط مباغت ، سببت هذا الارتجاج ، وضاعفت كمية الحمم ، التى تصب فى البحيرة ، ثلاث مرات على الأقل ..

وكان هذا يعنى أيضًا مضاعفة كمية البخار الساخن ، المتصاعد من البحيرة ، بنفس القدر تقريبًا ..

بالإضافة إلى الغازات الأخرى ، التى تتصاعد من الحمم الملتهبة ..

وكل هذا سيؤدى حتمًا إلى نتيجة واحدة ..

ارتفاع درجة الحرارة على نحو رهيب ، لابد وأن يؤدى إلى الموت ..

موت المقدّم (نور الدين محمود) ..

فى أعماق عالم عجيب ..

ومخيف ..

* * *

أطلق الحارس العملاق صيحة انتصار قوية ، وهو يرفع (أكرم) من قدميه ، ويستعد لضرب رأسه بالأرض الصخرية ، وتحطيمه بلا رحمة ..

وفى ظفر مماثل ، لوّح رفيقه بالمشعل أعلى الحفرة ، وأطلق زمجرة مخيفة ، وكأنما يعلن تأييده له ..

ولكن (أكرم) مال بجذعه فجأة إلى أعلى ، وهو يقول :

ـ هيا .. افتح فمك القذر أكثر أيها الوغد ، وامنحنى فرصة أكبر لنسف مخك الغبى ..

قالها ، وهو يصوب مسدسه إلى حلق العملاق مباشرة ..

نعم .. مسدسه ..

ففى المرة الأخيرة ، عندما ألقى العملاق (أكرم) نحو الجدار ، ارتطم به هذا الأخير فى عنف ، ثم سقط على وجهه ، وشعر بشىء ما تحته ..

وانتفض جسده كله فى انفعال ..

إنه مسدسه ..

المسدس الذى فقده ، فى أثناء سقوطه مع (نور) فى قبضة العمالقة ..

وصنع خياله صورة للموقف ..

لقد سقط المسدس عند قدمه ، وتعلق بالشبكة ، وظلّ فيها حتى ألقاهما العمالقة داخل الحفرة ، فسقط المسدس معهما ، ولكنهما لم يدركا وجوده ، بسبب الظلام الدامس ..

وها هو ذا يعثر عليه مصادفة ..

وفى الوقت المناسب تمامًا ..

وبسرعة ، راحت أصابعه تبحث عن خزانات الرصاصات الإضافية فى جيبه ، وهو يتمنى ألا يكون قد فقدها أيضًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى جذبه فيها العملاق من قدميه ، كان قد عثر على واحدة من خزانات الرصاصات ، فانتزع الخزانة الفارغة من كعب مسدسه ، وألقاها بعيدًا ، ودسّ خزانة جديدة فى المسدس ، والعملاق يطلق صيحة انتصاره ، ويرفعه من قدميه ؛ ليضرب رأسه بالأرض ..

وأطلق (أكرم) رصاصات مسدسه ..

ثلاث رصاصات عبرت فم العملاق المفتوح واخترقت حلقه ، ومؤخرة رأسه ، وتجاوزته مع حطام جمجمته ، التى تناثرت على وجه الشيخ وصدره ، فأطلق صرخة مذعورة ، قبل أن يهوى العملاق فوقه بثقله كله ، ويحطم عظامه وعنقه ، ويخرسه إلى الأبد ..

وعلى الرغم من الإرهاق الشديد الذى يعانيه ، وثب (أكرم) واقفًا على قدميه ، وصوّب مسدسه إلى حامل المشعل ، هاتفًا :

ـ هيا أيها الوغد .. الحق برفيقك فى الجحيم .

وانطلقت ثلاث رصاصات أخرى ..

واخترقت عين العملاق الثانى ، وجبهته ، وصدره ..

وهوى العملاق مع مشعله إلى الحفرة ، وسقط فوق ذلك الكائن البرتقالى ، ليسحقه سحقًا ..

ولثوان ، راح (أكرم) يلهث فى شدة ، وعقله يتساءل عما إذا كان أحد هؤلاء العمالقة قد سمع دوى الرصاصات أم لا ..

ولكنه لم يضع وقتًا طويلاً فى التفكير ..

وبكل ما يملك من قوة ، راح يجذب العملاق الثانى ؛ ليلقيه فوق زميله والشيخ ، وهو يقول :

ـ على الأقل ستصبح لكم فائدة أيها الأوغاد .

ثم التفت إلى الكائن البرتقالى ، الذى سحقه العملاق سحقًا ، وشعر بغصة فى حلقه ، وهو يتخيّل (نور) فى أعماقه ، ولم يستطع مقاومة دمعة حزن ، انحدرت على وجنته ، وهو يقول فى غضب :

ـ أقسم أن يدفعوا الثمن يا (نور) .. أقسم أن يدفعوا ثمن حياتك غاليًا يا صديقى .. يا أصدق أصدقائى .

ولأول مرة فى حياته كلها ، ترك (أكرم) دموعه تنهمر فى صمت ، دون أن يحاول كبحها أو منعها ..

ربما لأنه وحده ..

أو لأن ما حدث يتجاوز قدرة مشاعره على الاحتمال ..

المهم أنه لم يقاوم دموعه ..

ولم يتوقّف فى الوقت نفسه ..

لقد رفع عينيه ، يقيس المسافة بينه وبين القضبان الثقيلة ، التى يبدو جانب منها فى طرف الحفرة ، ثم تراجع حتى التصق بالجدار ، وانطلق يعدو نحو جثث العمالقة ، التى رصها فوق بعضها ، ووثب إلى صدر أحدهما ، ثم دفع جسده بكل قوته ؛ ليقفز إلى أعلى ..

ولكنه لم ينجح فى التعلّق بالقضبان ..

وهبط (أكرم) على قدميه ، وتراجع مرة أخرى ملتصقًا بالجدار ، وربّت على مسدسه ، ليتأكد من أنه مثبت فى حزامه ، وهو يغمغم :

ـ هيا يا (أكرم) .. الأمر يحتاج إلى دفعة أقوى .. لا تتخاذل بعد أن بلغت هذه المرحلة .. هيا .

وفى هذه المرة ، وعلى الرغم من إرهاقه الشديد ، كانت اندفاعته أكثر قوة ..

وقفزته أكثر ارتفاعًا ..

لذا فقد تعلّق بالقضبان المعدنية ، وهو يهتف :

ـ رائع .. لقد فعلتها يا رجل .. فعلتها .

ثم تأرجح بجسده مرتين ، قبل أن يرفع قدميه إلى أعلى ويدور بهما حول طرف القضبان ؛ ليعتليها بحركة بالغة الرشاقة ، ثم يقفز منها إلى خارج الفجوة ، وهو يستعيد مسدسه من حزامه ، ويقول فى حماس :

ـ نجحت يا (أكرم) .. صفعت هؤلاء العمالقة الأوغاد على مؤخراتهم ، ونجوت من حفرتهم اللعينة .

وتلفت حوله بسرعة ، قبل أن يندفع عبر الممرات ، مستطردًا فى حزم :

ـ ومن حسن الحظ أن هؤلاء الملاعين لا يرتدون دروعهم الواقية من الرصاصات داخل قلعتهم .

لم يدر لماذا استعاد عقله ذكرى تلك الأيام العصيبة ، التى أعقبت احتلال الأرض(*) ، وهو يتحرك فى حذر عبر الممرات الصخرية ، ومسدسه مشهور فى يده ، متحفز للانطلاق فى وجه كل من يعترض طريقه ..

ربما لأنه ، فى هذه المرة أيضًا ، يواجه بعض المتوحشين الهمج ، الذين لا يفرقهم عن سابقيهم سوى أنهم يرتدون دروعًا قوية فى بعض الأحيان ..

أو لأنه يتوقع الخطر فى أية لحظة كالسابق ..

ربما ..

المهم أنه راح يتحرك ويتقدم بسرعة ، وهو يغمغم :

ـ لو أننى سعيد الحظ ، فسأجد تلك المتوحشة فى طريقى ، وأنسف رأسها القذر برصاصات مسدسى .

وضم قبضته فى غضب ، مستطردًا :

(*) راجع قصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١) .

ـ وأقسم أن أفرغ فيه خزانة رصاصات كاملة عندئذ ..

لم يكن يدرى إلى أين تقوده هذه الممرات الطويلة المتشابكة ، إلا أنه واصل طريقه عبرها لبعض الوقت ، ثم توقف مغمغمًا فى حنق :

ـ اللعنة ! .. أما من نهاية لتلك الممرات السخيفة ..

لم يكد يتم عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعه وقع أقدام ثقيلة تقترب ، من أحد الممرات الجانبية ، فتراجع فى حذر متحفز ، وهو يتمتم :

ـ يبدو أن المواجهة ستحدث بعد قـ ..

قاطعته بغتة صرخة هادرة ، انطلقت من خلفه فاستدار بأقصى سرعته ، ليجد عملاقًا ضخمًا ينقضّ عليه ، وصيحاته الرهيبة ترجّ الممر رجًا ..

وبسرعة مدهشة ، رفع (أكرم) مسدسه ، وأطلق النار ..

واخترقت ست رصاصات جسد العملاق ، وهو يندفع نحوه كالثور الهائج ، فأطلق صرخة أخرى متحشرجة ، وواصل اندفاعه ، حتى إن (أكرم) اضطر إلى الالتصاق بجدار الممر بكل قوته ؛ ليتحاشى سقوطه العنيف ..

وفى نفس اللحظة ، التى سقط فيها هذا العملاق ، برز ثلاثة آخرون من الممر الجانبى ، وصرخ أحدهم

في غضب ، وهو يشير إلى (أكرم) ، الذى انطلق يعدو متراجعًا ، وهو ينتزع الخزانة الفارغة من مسدسه ، ويلقيها خلفه ، ويحشوه بأخرى جديدة ، ثم يستدير لمواجهة العمالقة الثلاثة ، هاتفًا :

ـ ليس بهذه السهولة أيها الأوغاد .

كان العمالقة الثلاثة يحملون هراواتهم الثقيلة ، ويطاردونه فى وحشية ، فأطلق ثلاث رصاصات نحو أولهم ، ونسف رأسه فى مشهد رهيب ، ولكن الآخرين لم يتوقفا لرؤية ما حدث ، وإنما قفز أحدهم متجاوزًا زميله ، فى حين وطأه الآخر بقدمه بلا مبالاة ، وهما يواصلان مطاردة (أكرم) ..

وبكل قوته ، ألقى أحدهما هراوته نحو (أكرم) ، فانحنى هذا الأخير يتفاداها ، وهو يهتف :

ـ لن يفلح هذا .

تجاوزته الهراوة ببضعة سنتيمترات ، فى نفس الوقت الذى أطلق هو فيه أربع رصاصات أخرى ، اخترقت كلها صدر صاحبها ، فأطلق خوارًا عجيبًا ، قبل أن يهوى بدوره فاقد الوعى ..

ولم يتوقف العملاق الثالث ، على الرغم من كل هذا ..

لقد وثب متفاديًا جثة رفيقه الثانى ، ودارت هراوته فى الهواء ، وهو يطلق صرخة غاضبة ثائرة ، فتراجع (أكرم) بحركة حادة ، محاولاً تفادى الهراوة الثقيلة ، إلا أن محاولته هذه أفقدته توازنه ، فسقط على ظهره ، وطار مسدسه من يده ؛ لينزلق ثلاثة أمتار كاملة على الممر ..

وحاول (أكرم) أن ينهض ، وأن يقفز لاستعادة مسدسه ، إلا أن العملاق الأخير أطلق صرخة رهيبة ، وهو ينقضّ عليه بكل قوته ووحشيته وجبروته ..

وبكل العنف ، هوى العملاق بهراوته على رأس (أكرم) الأعزل ..

بلا رحمة ..

* * *

امتزج الماء بالنار ، فانبعث صوت رهيب ، مع كميات هائلة من البخار ، ملأت الفراغ كله ، ورفعت درجة حرارته على نحو مخيف ، والتهمت كميات ضخمة من الأكسجين ، حتى كاد (نور) يختنق ، وهو يسعل بشدة ، والعرق الغزير يغمر جسده بأكمله ..

وكان من الواضح أنه لن يحتمل هذا طويلاً ..

سيلقى مصرعه حتمًا ، لو تزايد الأمر ، ولو بمقدار ضئيل ..

وما من سبيل للخروج من هذا الموقف العصيب ..
باستثناء هذا الباب السرى ..
الباب الذى يحتاج إلى كلمة سر غامضة مجهولة ، لا يمكن التوصل إليها ، و ...
« تذكر يا (نور) ... (بشت) .. » ..
دوت العبارة بغتة فى عقله ، وهى تطفو من أعماق ذاكرته ، حاملة صوت من أعماقه ذاكرته ، حاملة صوت ولهجة (محمود) ، على النحو نفسه ، الذى سمعه يرددها به فى الحلم ..
(بشت) ..
كلمة لا يدرى لها معنى ، ولكن شيئًا ما فى أعماقه أنبأه بأنها الكلمة المنشودة ..
ومع ارتفاع صوت الفحيح المخيف ، وتضاعف كمية البخار ، لم تكن أمام (نور) فرصة للتفكير فى احتمال آخر ..
لذا ، فقد هتف فى حزم :
- (بشت) .
ولثوان ، خيّل إليه أن الكلمة لا تحمل أى مدلول ، بالنسبة للرتاج الإلكترونى ، ثم لم يلبث الباب أن انفتح بغتة فى صمت ، وغاص فى قلب الجدار الصخرى الطبيعى ..

ومن خلفه بدا مشهد مدهش ..
ممر واسع طويل ، يغمره ضوء هادئ مجهول المصدر ، يبدو وكأنه ينبع من مادة الممر نفسها ..
وعلى الرغم من دهشة (نور) وانبهاره ، إلا أنه لم يضع لحظة واحدة ، وإنما وثب عبر الفتحة إلى الممر ، وهو يكرّر :
- (بشت) ..
ومن خلفه أغلق الباب فى صمت أيضًا ، بعد أن اندفعت عبره كمية كبيرة من البخار الساخن ..
ولثوان ، وقف (نور) يتطلّع إلى الممر فى انبهار ..
إذن فهناك آخرون بالفعل ..
تمامًا كما قال (محمود) فى الحلم ..
كلاّ .. ليس فى الحلم ..
لقد قالها فى أثناء اتصال مباشر ..
نعم ..
لم يعد لديه شك الآن ، فى أن (محمود) على قيد الحياة ، وأنه يتصل بهم اتصالاً مباشرًا بوسيلة ما ..
لم تعد لديه ذرة واحدة من الشك ..
لقد أخبره بأمر الفجوة ، قبل أن تجذبهم إليها ..
وبكلمة السر ، التى أنقذته من موت محقق ..

وبالآخرين ..

أولئك الذين صنعوا مثل هذا الممر ..

وفى حماس ، هتف (نور) :

ـ شكرًا يا (محمود) .. شكرًا يا صديقى .

كم تمنى لحظتها لو يستغرق فى نوم عميق ، حتى يلتقى به ..

ويشكره ..

بل كم تمنى لو أنه وجد وسيلة ما ، لإعادته إلى عالمه ..

مهما كان الثمن ..

ولكن ما فائدة عودة (محمود) إلى عالمه ، ما دام هذا العالم مهددًا بالفناء ؟! ..

ما جدوى وجوده ، فى عالم يستعد لمغادرة الوجود ؟! ..

ولكن لا ..

لن يستسلم (نور) قط لهذا المصير ..

لن يهدأ له بال ، حتى يجد وسيلة لإنقاذ الأرض ..

أو يهلك دون هذا ..

وعندما أدار عينيه مرة أخرى فى المكان ، انتعش فى قلبه شىء من الأمل ..

إن من صنعوا هذه الجدران المضيئة ليسوا بدائيين ، بأى حال من الأحوال ..

إن لديهم حتمًا حضارة ما ..

أو بقايا حضارة ..

وربما يعنى هذا أن لديهم وسيلة لوقف الخطر ..

ربما ..

المهم أن الساعة لم تحن بعد ..

والأمل لم يضع بعد ..

و ..

قبل أن يتجاوز هذا القدر من أفكاره ، انبعث ذلك الصوت بغتة ، من نهاية الممر الطويل ..

صوت معدنى عجيب ، أشبه بصوت دبابة حربية قديمة تتجه نحوه(*) ..

وانعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وهو يتراجع فى حذر ، والصوت يقترب ، ويقترب ، ويقترب ..

ثم ظهر جسم ما فى نهاية الممر ..

(*) الدبابة : مدرعة مسلحة برشاشات ومدافع ، استخدمت فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ، وما زالت تستخدم فى الحروب الحديثة ، بعد أن مرت بتطورات شتى ، وهى تمتاز بخفة الحركة ، وقوة النيران ، والوقاية ، وبقدرتها على السير فى الأراضى الوعرة ، وتوجد منها أنواع برمائية متطورة ..

جسم بيضاوى ، أشبه ببيضة النعامة ، ولكن له عشرة أضعاف حجمها على الأقل ، ويسير على جنازير قوية أشبه بجنازير الدبابة ..

ولوهلة ، توقف ذلك الجسم ، وأضىء مصباح ضئيل أعلاه ، انبعث منه ضوء محدود ، قبل أن يعاود السير فى اتجاه (نور) ، الذى تجمّد فى مكانه ، دون أن تبدر منه أية حركة ، من شأنها إثارة ذلك الشىء أو استفزازه ..

وواصل الجسم الآلى تقدّمه ، حتى صار على مسافة خمسة أمتار من (نور) ، قبل أن ينبعث منه صوت معدنى ، بعبارة لم يفهم هذا الأخير منها حرفًا واحدًا ..

عبارة بلغة أهل (بشتوريا) ..

ولم يدر (نور) ماذا يفعل ..

لقد فهم على الفور أن ذلك الآلى يسأله عن هويته ، أو عن كلمة سر أخرى تتيح له التقدُّم عبر الممر ..

ولكن كيف يجيب ؟! ..

إنه لا يعرف حتى كيف يستخدمون هذه اللغة ..

بل ولا يفهم حرفًا واحدًا منها ..

وفى حذر ، ردّد الكلمة الوحيدة التى يعرفها :

- (بشت) ..

وكان من الواضح أنها ليست الجواب المنشود هذه المرة ..

لقد استقبلها الآلى ، ولم ترض برنامجه ، فكرّر عبارته ، التى لم يفهمها (نور) ..

ولم يجد (نور) ما يقوله هذه المرة ..

وإزاء صمته التام ، تراجع الجسم الآلى لمتر آخر ، ثم برزت منه أنبوبة رفيعة ، وانطلق من المصباح الصغير أعلاه شعاع من الضوء المركز ؛ ليسقط على جبهة (نور) تمامًا ، فى حين انبعثت عبارة أخرى غير مفهومة ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد أدرك (نور) جيدًا ما سيقدم عليه هذا الآلى ..

وسرى التوتر فى كل خلية من خلاياه ..

لقد فشل فى تحديد هويته ، ولم يعد أمام الآلى سوى الإجراء الحاسم ..

قتله .

وبسرعة ، اندفع (نور) نحو الآلى ، محاولاً تفادى سلاحه الجديد ..

ولكن الآلى كان أكثر سرعة ..

ودقة ..

وبسرعة ، اندفع (نور) نحو الآلى ، محاولاً تفادى سلاحه الجديد .. ولكن الآلى كان أكثر سرعة ..

لذا فقد انطلق سلاحه ، قبل أن يبلغه (نور) ، وأصاب هدفه بمنتهى الدقة ، و ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ، كما لو أصابته صاعقة قوية ..

ثم هوى فى قلب الممر الطويل ..

وبلا حراك .

* * *

٦ - بلا حدود ..

لم يدر (أكرم) كيف نجا من هذه الضربة العنيفة ..

لقد رأى الهراوة الثقيلة تنقضّ على رأسه ، والعملاق من خلفها يطلق صرخة عالية مخيفة ، فأمال رأسه بعيدًا ، ودفع جسده إلى الخلف ، ورأى الهراوة تمرّ أمام عينيه مباشرة ، وسمع صوت اختراقها للهواء ، قبل أن ترتطم بالجدار الصخرى ، وتحطّم جزءًا منه ، فتناثرت معه بعض الشظايا ، التى أصابت وجهه وصدره ، والعملاق يطلق صرخة غضب قوية ..

ولم يصدّق (أكرم) نفسه ..

لم يصدّق أنه نجا ..

ولكن دهشته وفرحته بنجاته لم تفقداه قدرته على التفكير السليم ..

أو سرعة التصرف ..

وبكل قوته ، وقبل أن يعيد العملاق هراوته ، ركله (أكرم) فى أنفه مباشرة ، قائلاً فى حدة :

- خسرت فرصتك أيها الوغد .

ثم قفز من مكانه ، واندفع محاولاً التقاط مسدسه ..

ولكن العملاق قفز خلفه بدوره ..

وبأصابع كالفولاذ ، قبض العملاق على كاحل (أكرم) ، وانطلقت من حلقه صيحة ظفر ، وهو يجذبه إليه ، ويرفع هراوته ، ليهوى بها محطمًا رأسه ..

ولكن أصابع (أكرم) التقطت مسدسه بصعوبة ، وجذبته إليه بسرعة ؛ فأطبق عليه فى إحكام ، والتفت إلى العملاق ، صارخًا :

- قلت لك : إنك خسرت أيها الوغد ..

ومع صرخته ، انطلقت الرصاصتان المتبقيتان فى خزانة المسدس ..

واخترقتا رأس العملاق ..

وجحظت العينان الدمويتان ، وترنّح الرأس الضخم لحظة ، ثم هوى العملاق كله جثة هامدة ..

فوق ساقى (أكرم) ..

وانطلقت من حلق (أكرم) صيحة ألم عنيفة ، عندما سقط العملاق بجسده الضخم على ساقيه ، وخيّل إليه أنهما تحطّمتا تمامًا ، فهتف :

- اللعنة ! .. هؤلاء الأوغاد ثقيلو الوزن بالفعل .

وراح يجذب ساقيه من تحت العملاق بكل قوته ، وما إن نجح فى هذا حتى راح يتحسسهما فى ألم ، مغمغمًا :

- حمدًا لله .. تصورت لحظة أنهما تحطمتا بحق .

وثنى ركبتيه ليطمئن على سلامتهما ثم نهض فى إرهاق ، وانتزع الخزانة الفارغة ، وألقاها جانبًا ، وهو يقول لنفسه فى حنق :

- كان ينبغى أن أتجاهل تعليمات الأمن ، وأحضر مسدسى الآلى .. إن خزانته تحوى أربعة أضعاف ما تحويه خزانة هذا المسدس على الأقل .

وتحسس جيبه ؛ ليلتقط خزانة جديدة ، وهو يستطرد :

- عظيم .. لم يعد لديك سوى ثلاث خزانات فحسب .. أى سبع وعشرين رصاصة .. ينبغى أن تحسن استخدامها على أفضل نحو ممكن ؛ فأنت لا تدرى عدد الأوغاد الذين ستلتقى بهم ، قبل أن تجد وسيلة للخروج من هذا الجحيم .

ودسّ خزانة الرصاصات الجديدة فى المسدس ، قبل أن يتحرك مرة أخرى فى حذر عبر الممرات الصخرية ، ويغمغم :

- تُرى هل أصيب هؤلاء الأوغاد بالصمم ، حتى إنهم لم يسمعوا دوى كل هذه الرصاصات ، التى انطلقت أم أنهم يتجاهلون هذا عمدًا .

أقلقته الفكرة ، ولكنها لم توقف تقدمه عبر الممرات ، حتى بلغ منطقة ، يتفرّع عندها الممر الرئيسى إلى ثلاثة ممرات فرعية ..

وتوقّف (أكرم) عند هذه البقعة ، وهو يسأل نفسه :

- إلى أين ينبغى أن تتجه بالضبط يا (أكرم) .. كل الممرات تبدو متشابهة ، ولكن أيهما يقودك إلى شاطئ النجاة ؟!

قضى بضع لحظات فى تردُّد ، قبل أن ينفجر ضاحكًا ، ويهتف فى عصبية :

- فيمَ ترددك يا رجل ؟! .. من أدراك أنها لا تقودك كلها إلى قلب الجحيم ؟!

ثم تقدّم فى حزم نحو أحد الممرات ، مستطردًا :

- هيا .. اختر على بركة الله (سبحانه وتعالى) .

ولكنه لم يكد يخطو داخله ، حتى ارتجّ المكان كله بصيحات قتالية قوية ، وبرز عشرات العمالقة فى نهاية الممر الذى اختاره ، فتراجع بسرعة ، وهو يطلق رصاصاته نحوهم ، ولكن عشرات آخرين ظهروا من

خلفه ، فى الممر الرئيسى ، ومثلهم فـى الممر الفرعى الأوسط ..

ولم يعد هناك خيار ..

لقد أطلق (أكرم) رصاصاته على جيش العمالقة الذى يطارده ، وهو يعدو بكل قوته عبر الممر الثالث ..

وكم أحنقه رد فعلهم ..

كان العديد منهم يتساقطون صرعى ، ولكن هذا لم يوقف الآخرين ، أو يفت حتى فى عضدهم ..

لقد واصلوا مطاردته ، متجاهلين من يسقط منهم ، وكأن الموت لا يعنى الكثير بالنسبة لهم ..

ولم يدر (أكرم) كم أطلق من الرصاصات ..

لقد فرغت خزانته الأولى ، والثانية ، وها هو ذا يطلق الآن رصاصات الخزانة الثالثة والأخيرة ..

وفى توتر شديد ، هتف لنفسه :

لا تفقد كل رصاصاتك يا رجل .. ادخر واحدة لتنسف بها رأسك ، إذا ما حتمت الظروف سقوطك فى قبضتهم .

انتهى به الممر إلى قاعة متوسطة ، فقفز داخلها ، وأدار عينيه فيها فى عصبية شديدة ، قبل أن يهتف :

ـ اللعنة ! .. لا يوجد مخرج آخر .. إنها نهاية المطاف .

ثم استدار بكل حنقه وغضبه وعصبيته ، لمواجهة جيش العمالقة ، الذى يطارده فى إلحاح ، و ...

وكانت دهشته بالغة ..

لقد توقف العمالقة بغتة ، كما لو أن حاجزًا خفيًا قد أقيم أمامهم ، ومنعهم من مواصلة المطاردة ..

أو أنهم لا يستطيعون دخول تلك القاعة بالتحديد ..

وانعقد حاجبا (أكرم) ، فى توتر شديد ، وهو يتطلع إلى وجوههم ، التى خلت من أية مشاعر أو انفعالات ، وعيونهم الدموية ، التى تحدق فى وجهه بنظرة عجز عن تفسير معناها ، وهو يقول فى عصبية ، على الرغم من ثقته فى أنهم لن يفهموا حرفًا واحدًا مما يقول :

ـ لماذا لم تواصلوا المطاردة أيها الأوغاد ؟! .. لماذا توقفتم هنا ؟! .. أهذه القاعة تمثل لكم رمزًا مقدسًا أم ماذا ؟!

ظلت العيون الدموية تحدق فيه فى صمت مستفز ، وهو يتراجع داخل القاعة ، ويدير عينيه فيها فى مزيد من التوتر ، و ...

وفجأة ، هبط حاجز من القضبان السميكة ، ليغلق القاعة ، ويسجن (أكرم) داخلها ..

وهنا ..

هنا فقط انفجر العمالقة ضاحكين ..

وأصبح للنظرة المطلّة من عيونهم الدموية معنى واضح ..

السخرية ، والشماتة ..

واحتقن وجه (أكرم) فى شدة ..

وتفجّر فى أعماقه غضب هادر ..

الآن فقط فهم اللعبة كلها ..

وأدرك كيف أوقعوه فى الفخ ..

لقد انتبهوا إلى دوى الرصاصات فى حينه ، وفهموا ما حدث ، وأعدّوا له هذا الفخ المحكم ..

وطوال الوقت ، كان يسير إلى حيث يريدون بالضبط ..

وعندما بلغ مفترق الطرق ، كان عليهم أن يحدّدوا مساره ..

ولقد فعلوا ..

العمالقة الذين طاردوه ، والذين يسخرون منه الآن ، لم يتركوا له سوى سبيل واحد للفرار ..

هذا الطريق ..

وهذه القاعة ..

وسقط هو فى الفخ كالفرّ الساذج ..

وأصبح حيثما أرادوا بالضبط ..

ولكن لماذا ؟! ..

لماذا دفعوه إلى هذا المكان بالذات ؟! ..

ما الذى يميّزه عن أى مكان آخر ؟! ..

استفزّت ضحكاتهم الساخرة الشامتة أعصابه بشدة ، فصاح وهو يلوّح بمسدسه فى وجوههم فى غضب :

– كفى أيها الأوغاد ، وإلا نسفت رءوسكم البغيضة .. كفى .

ولكن العمالقة لم يبالوا بصياحه أو غضبه ، وواصلوا ضحكاتهم الساخرة ، وهم يلوّحون بسبّاباتهم فى وجهه ..

ثم توقّف كل هذا بغتة ..

وفقدت عيونهم تلك النظرة الساخرة الشامتة ، لتحل محلها نظرة خوف ورهبة ، وهم يتراجعون فى بطء ..

وفى الوقت نفسه ، انطلقت فى المكان ضحكة أخرى ..

ضحكة ميّزها (أكرم) جيدًا ، والتفت إلى مصدرها صائحًا :

– آه .. هو أنت إذن أيتها اللعينة .

وقع بصره لحظة على الأميرة (بلوميا) ، فى رداء ينافس شعرها الطويل حمرة ونعومة ، وهى تتطلّع إليه بنظرة ساخرة شامتة ، عبر فتحة فى سقف القاعة ، فأدار فوهة مسدسه نحوها ، وهو يقول فى حدة :

- كم يسعدنى أن نلتقى ثانية ..

كان يتلهف على إطلاق رصاصاته على رأسها ، إلا أنها تراجعت فى سرعة ، وأغلقت تلك الفتحة ، وضحكتها الساخرة العالية ترجّ القاعة ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ (أكرم) :

- عودى أيتها اللعينة .. عودى .

ومع آخر حرف من صرخته ، انطلقت زمجرة رهيبة فى القاعة ..

زمجرة تختلف تمامًا عما يطلقه العمالقة ..

زمجرة حيوان مفترس ..

وضخم ..

ومع الزمجرة ، انزاح جزء ضخم من جدار القاعة ..

وخفق قلب (أكرم) فى عنف ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق فى ذلك الشىء ، الذى برز من خلف الجزء ..

وكان هذا الشىء رهيبًا ..

ومخيفًا ..

وعجيبًا ..

عجيبًا للغاية ..

* * *

« (نور) .. استيقظ يا (نور) .. استيقظ أيها القائد .. » .

تسلل الهتاف إلى أذنى (نور) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ، فتمتم ممسكًا رأسه ، من فرط الألم والصداع :

- أين أنا ؟! .. ماذا حدث ؟!

بدا له الصوت الأنثوى مألوفًا ، على الرغم من الكلمات الغريبة ، التى استخدمها ، قائلاً فى لهفة :

- أنت بخير هنا ، فى مقر الحاكم (كاتو) ، حاكم (بشتوريا) .

انعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

- (كاتو) ؟! .. (بشتوريا) ؟! .. هذا الصوت .. إنه .. إنه .. واستيقظ عقله بغتة ؛ ليهتف :

- (نادية) .. إنه أنت ..

ملأت صورتها وجهه ، بعينيها الدامعتين ، وابتسامتها الحنون ، وهى تقول :

- نعم .. هو أنا أيها القائد .. حمدًا لله على سلامتك .

أدار عينيه فى الوجوه المحيطة به ، فى دهشة ، قبل أن يجلس قائلاً :

- من هؤلاء القوم يا (نادية) ؟!

انعقد حاجبا (آرى) فى صمت ، فى حين أجاب الحاكم بهدوئه ورصانته :

ـ نحن أهل (بشتوريا) يا رجل .. نحن أصحاب تلك الأطلال القرمزية ، التى هبطتم عندها .

وارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يحدق فى وجه (كاتو) ..

لقد نطق الحاكم عبارته بلغة لم يدرسها (نور) فى حياته كلها ، وعلى الرغم من هذا ، فقد فهم كل حرف منها ، على نحو جعله يهتف :

ـ رباه ! .. إننى أفهمك .

هتفت (نادية) فى حماس :

ـ بالتأكيد يا (نور) .. لقد استخدموا معك تلك التقنية المدهشة ، وأنت غارق فى غيبوبتك ، فلديهم هنا جهاز مدهش ، تنطلق منه أنواع مختلفة من الأشعة ؛ لتؤدى وظائف مختلفة .

أدار (نور) عينيه مرة أخرى فى الوجوه ، قبل أن يسأل فى حذر :

ـ كيف أحضرتمونى إلى هنا ؟!

ابتسم الحاكم ، قائلاً :

ـ بل السؤال هو كيف وصلت أنت إلى هنا ، فلقد ألقى حارسنا الآلى القبض عليك ، عند أحد مداخل (بشتوريا) وأتى بك إلى هنا .

قال (نور) فى توتر :

ـ وما (بشتوريا) هذه ؟

روى له الحاكم فى هدوء نفس القصة ، التى رواها لـ (نادية) من قبل ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ رباه ! .. إذن فالكوكب يحكمه هؤلاء الطغاة بالفعل .

قال (آرى) فى صرامة :

ـ ليس إلى الأبد ..

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى حزم :

ـ بالتأكيد يا رجل .. الطغيان لا يدوم أبدًا ، فدولة الظلم ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة .. سينهزم هؤلاء الطغاة حتمًا .. همجيتهم نفسها ستهزمهم .

قال (آرى) بنفس الصرامة :

المهم ألا يطول بنا الانتظار ، حتى يحدث هذا .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ ومن يدرى ؟!

ثم أدار عينيه فى المكان ، مستطردًا :

- ولكنها فكرة عبقرية بحق أن تنشئوا مدينتكم تحت قلعة الطغاة مباشرة .. إنه بالتأكيد المكان الوحيد الذى لن يخطر ببالهم قط .

تبادل (آرى) نظرة متوترة مع الحاكم ، قبل أن يسأل هذا الأخير (نور) فى اهتمام مشوب بالقلق :

وكيف أدركت هذا ؟!

ضحكت (نادية) ، ولوّحت بذراعها ، قائلة :

- من الواضح أنك لاتعرف القائد (نور) أيها الحاكم .. إنه عبقرى فى هذا المضمار .

كرّر (آرى) السؤال فى صرامة ، متجاهلاً تعليقها :

- كيف أدركت هذا ؟!

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يجيب :

- لم يكن الأمر بحاجة إلى الكثير من الذكاء أيها السادة ؛ فمدخل مدينتكم يقع تحت القلعة تمامًا ، والممر يمتدّ فى اتجاه عمقها ، وليس بعيدًا عنه ، ثم إن هذا بالفعل أفضل مكان للاختباء من القط .. تحت أنفه مباشرة .

تبادل (آرى) والحاكم نظرة متوترة أخرى ، ثم قال الأول فى عصبية :

- هل تدرك مدى ما يمكن أن يشكّله الأمر من خطورة ، إذا ما عرف (المولاك) موقع مدينتنا ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

- بالطبع .. لو عرف طغاة مثلهم موقع مدينتكم ، ستكون فى هذا نهايتها .

قال الحاكم فى أسى :

- عظيم .. أرجو أن يعاونك هذا على فهم ، ما سنضطر إليه من إجراءات .

بدا التوتر على وجه (نادية) ، وهى تقول :

- ماذا يعنى هذا ؟!

أجابها (نور) فى حزم ، وهو يتطلّع إلى عينى الحاكم مباشرة :

- يعنى أن الحاكم يفكّر فى التخلّص منا يا (نادية) .

شهقت الفتاة فى ارتياع ، فى حين قال الحاكم فى سرعة :

- ليس إلى هذا الحد أيها القائد (نور) .. إننا مضطرون لاحتجازكما هنا فحسب ، فليس من الممكن أن نجازف بإطلاق سراحكما ، وأنتما تحملان سرًا يهدّد (بشتوريا) كلها بالدمار .

كان موقفه منطقيًا للغاية ، على الرغم مما يحمله من أضرار لـ (نور) و (نادية) ، ولو أن الأول فى موضعه ، لما اتخذ قرارًا مختلفًا ..

ولكن (نور) شدّ قامته ، وقال فى حزم :

ـ لو أننى فى مكانكم أيها السادة ، لما كان هذا كل ما يقلق ذهنى ، فكوكبكم كله مهدّد بكارثة رهيبة قد تسحقكما معًا .. أنتم و (المولاك) .

أومأ الحاكم برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ نعم يا ولدى .. نعم .. لقد رصدنا الأمر منذ بدايته ، وعلماؤنا عاكفون على دراسته طوال الوقت ، ولكنهم لا يجدون حلاً لتفادى وقوع الكارثة .

التقى حاجبا (نور) بشدة ، وقال بانزعاج حقيقى :

ـ لا يجدون حلاً .. رباه ! .. كان لدى أمل كبير فى أن أجد لديكم الحل .

تنهّد الحاكم ، وهو يهزّ رأسه فى أسف ، ولكن (آرى) قال فى حدة :

ـ مهلاً .. من أين أتاك الأمل يا صاح ؟! .. إنك لم تلتق بنا ، ولم تعلم حتى بوجودنا ، حتى هذه اللحظة ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ من قال هذا ؟! .. ألم نلتق فى قلب الصحراء ، عندما خدعنى أحدكم ، وجذبنى مع (أكرم) بعيدًا ، حتى يمكنكم اختطاف (نادية) .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ وبالمناسبة ، هل اختفى صاحبكم عبر مدخل سرى آخر ، خلف تلك الصخرة الكبيرة ؟!

أجابه (آرى) ، متجاهلاً الجزء الأخير من العبارة :

ـ هذا لا يمنحك أية فكرة عن مدى ما وصلنا إليه من تقدّم علمى .

قال (نور) :

ـ وماذا عن الأطلال ؟!

أجابه فى حزم :

ـ ربما تشير إلى وجود حضارة سابقة ، ولكنها لا تعنى قط وجود حضارة حالية .

وتدخّل الحاكم ، مضيفًا :

ـ ثم إنك لم تجب عن سؤالنا بعد : كيف استطعت الوصول إلينا ، مع وجود باب سرى ، لا يمكن فتحه إلا باستخدام كلمة سر خاصة ، لا يعرفها سوانا .

ولم يجد (نور) ما يجيب به هذه المرة ..

كيف يمكن أن يشرح لهم كيف توصّل إلى معرفة كلمة السرّ ؟! ..

كيف يمكن إقناعهم بأمر كهذا ؟! ..
كيف ؟! ..

وفى حزم وصرامة ، قال (آرى) ، وهو يتطلع إليه جيدًا :

- من الواضح أنك لا تجد ما تجيب به أيها القائد .

أجابه (نور) بسرعة :

- ربما لأننى أخشى ألاّ يمكنكم فهم الأمر .

قال (آرى) فى شىء من السخرية :

- جربنا .

وتضاعف توتر (نور) وحيرته ..

إنه يدرك جيدًا أنه لو أجابه شخص ما ، على مثل هذا السؤال ، بأنه عرف كلمة السر عبر صديق قديم ، لم يعد ينتمى إلى عالمه ، لاتهمه فورًا ، وبلا تردد بالتلفيق والخداع ..

أو ربما بالسخرية منه ..

أو الجنون ..

ولكنه لن يقنع بالجواب قط ..

فكيف يلقيه على مسامعه ؟! ..

« هل عثرت على جواب مناسب بعد ؟! .. » .

ألقى (آرى) السؤال فى السخرية ، استفزّت مشاعر (نور) ، فشد قامته ، وقال فى حزم :

- اسمع يا رجل .. سأخبركم بالحقيقة ، على الرغم من غرابتها ، ومن ثقتى بأنكم لن تصدقوها ، و ..

« (نور) أيضًا مقاتل من طراز خاص .. » .

نطقت (نادية) هذه العبارة بغتة ، وبلهجة حازمة واثقة ، أدهشت (نور) بأكثر مما أدهشت الآخرين ، إلا أنه كتم دهشته فى أعماقه ، وهو يلتفت إليها فى بطء ، فتابعت بسرعة :

- إنه يمتلك قدرة فوق طبيعية على التنبؤ بالأشياء .

انعقد حاجبا (آرى) فى شك غاضب ، فى حين ارتفع حاجبا الحاكم ، وهو يغمغم فى دهشة :

- حقًا ؟! .

شعر (نور) بالامتنان نحو (نادية) ، التى أدركت مدى حيرته ، فمنحته جوابًا يمكن إقناعهم به إلى حد ما ، وقال فى حزم :

- هذا صحيح .. إنها موهبة طبيعية ، تمت تنميتها بالتدريب المستمر ، و ..

قاطعه (آرى) فجأة :

- ما الذى سيحدث هنا ، بعد ساعة واحدة ؟!

ابتسم (نور) ، قائلاً :

وصوّب جهازه إلى (نور) ، ثم أطلقه فأحاطت بهذا الأخير هالة وردية ..

- لا يمكنك اختبارى بهذا الأسلوب الساذج يا رجل .. إننى لا أنتزع تنبؤاتى انتزاعًا ، وإنما تختار هى الوقت الذى تتسلل فيه إلى عقلى .

قال (آرى) ساخرًا :

- وهل فعلت هذا بغتة ، وأنت تقف أمام المدخل السرى ، وأخبرتك بكلمة السر ؟!

ثم أشار بيده ، مستطردًا فى صرامة :

لا تجب الآن .

قالها ، وصوّب جهازه إلى (نور) ، ثم أطلقه ، فأحاطت بهذا الأخير هالة وردية ، والشيخ يقول :

- حذار يا ولدى ، فلون هذه الهالة يتحوّل إلى الأزرق ، إذا ما كان جوابك كاذبًا .

هوى قلب (نادية) بين قدميها ، وارتجفت شفتاها على نحو ملحوظ ، انتبه إليه (آرى) جيدًا ، فعقد حاجبيه فى شدة ، فى حين أجاب (نور) فى حزم وثقة :

- اطمئن أيها الحاكم .. لن يتغيّر لونها .

ثم التفت إلى (آرى) ، مستطردًا :

- كلمة السر هذه استقبلها عقلى ، فى ظروف فوق طبيعية ، ولكننى لم أدرك فائدتها ، أو ما يمكن أن تعنيه ، إلا عندما أصبحت أمام مدخلكم السرى تمامًا .

ارتفع حاجبا (نادية) فى دهشة ، عندما بقيت الهالة على لونها ، ولاحظ (آرى) دهشتها ، ولكن ثبات لون الهالة جعله يغمغم فى حنق :

ـ أنت صادق .. لست أدرى كيف ، ولكنك صادق فيما قلته .

قالها ، وسحب تلك الهالة الوردية ، و (نور) يقول :

ـ بالتأكيد .. ينبغى أن تدركوا أننى لست عدوًا ، وإنما صديق ، يبذل قصارى جهده لإنقاذ كوكبه وكوبكم .

تنهّد الحاكم ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لافائدة يا ولدى .. لافائدة .. علماؤنا بذلوا قصارى جهدهم ، حتى يئسوا من الأمر تمامًا .

سأله (نور) فى توتر .

ـ ألم يتوصّلوا إلى أى شىء ؟!

هزّ الحاكم رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ ما توصّلوا إليه ليس مجديًا ، ما دمنا لم نعد كما كنا .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟!

أجابه فى أسف يا نس :

ـ علماؤنا توصّلوا ، منذ ما يقرب من يومين ، إلى أنه من الممكن إغلاق الفجوة ، لو أننا فجّرنا فى مركزها قنبلة صوتية .

قال (نور) :

ـ قنبلة ماذا ؟!

أجابه الرجل :

ـ قنبلة صوتية .. ربما لم تتوصّلوا إليها فى عالمكم ، ولكننا كنا نستطيع صنعها فى الماضى ، قبل أن نفقد معظم وسائل التكنولوجيا المتطوّرة .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وما الذى يمكن أن تفعله القنبلة الصوتية هذه ؟!

أجابه (آرى) هذه المرة ، وفى عصبية ملحوظة :

ـ يمكنها أن تطلق موجة فوق صوتية (SUPER SONIC)(*) هائلة ، قد لاتكون مسموعة ، ولكنها كافية لتوليد طاقة رهيبة غير محدودة ، قادرة على تحطيم حالة التذبذب المضطرب ، التى تنشأ عنها الفجوة السوداء ، فتلغى مفعولها تمامًا .

سأله (نور) فى انفعال :

(*) الموجة فوق الصوتية : هى الموجة التى تنطلق بسرعة تفوق سرعة الصوت ، وهناك علم يختصّ بدراسة فوق الصوتيات ، ويتعامل مع كل الترددات التى تزيد على ترددات الصوت العادية ، ويمكن أن يطلق عليها أيضًا اسم (فوق السمعيات) .

ـ أتعنى أننا لو أطلقنا الموجة فوق الصوتية المطلوبة ، فى مركز الفجوة ، فسيؤدى هذا إلى إغلاقها .. وإنقاذ كوكبنا وكوكبكم من دمار محقق ؟!

أشار (آرى) بيده ، قائلاً :

ـ من الناحية النظرية فحسب .

قال (نور) فى لهفة :

ـ ألا توجد وسيلة لنقل الأمر إلى الجانب العملى ؟! ربما كان لديكم جهاز خاص ، يمكن تطويره لإطلاق تلك الموجة المنشودة ، أو لعل إحدى القنابل الصوتية قد نجت من التدمير ، و ...

قاطعه الحاكم فى حزم :

ـ لا تغرق فى الأحلام والأوهام يا ولدى .

التفت إليه (نور) فى حركة حادة ، فتابع :

ـ ليست لدينا أية أجهزة تصلح لهذا ، ثم إننا لم نصنع القنبلة الصوتية أبدًا .

قالت (نادية) فى دهشة :

ـ ولكنك قلت منذ قليل إن ..

ـ قلت : إننا كنا نستطيع صنع القنبلة الصوتية ، ولكننا لم نفعل قط .. لقد ظلت مجرد فكرة نظرية ، لم يكن

هناك مبرر لتحويلها إلى واقع ملموس ، بعد أن فعلنا ما فعلنا بفضائنا ، وأدركنا خطورة أسلحة الدمار .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ إذن فهذا يعنى أن ...

قاطعه الحاكم فى حزم :

ـ يعنى أنه لا توجد أية وسيلة ، يمكنها أن تنقذ عالمينا فى الوقت المناسب للأسف .

وانتفض قلب (نور) بين ضلوعه ..

فقد كان هذا يعنى فقدان الأمل فى إنقاذ الأرض ..

آخر أمل .

* * *

٧ - البركان ..

« الأمر يتجاوز كل التوقعات .. » .

نطق مدير المرصد الجديد العبارة بصوت مرتجف ، وهو يراجع تقارير الرصد الأخيرة ، مع الدكتور (ناظم) ، الذى بدا شديد التوتر بدوره ، وهو يسأل :

- ما الذى توصلتم إليه هذه المرة ؟!

أشار المدير إلى شاشة العرض ، قائلاً :

- تلك الفجوة أصابها نشاط عجيب متزايد ، يضاعف قوة جذبها بعجلة تزايدية سريعة (*) ، تفوق كل توقعاتنا .

شحب وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يسأله :

- أتعنى أن المهلة المتاحة للأرض والقمر قد تناقصت أكثر ؟!

(*) العجلة التزايدية : هى المعدل الذى تتزايد به سرعة جسم ما ، عند تعرضه لعامل خارجى (أو داخلى) ، يتغير أو يتزايد باستمرار ، مع افتراض ثبات كل العوامل الأخرى ، وأكبر مثال لهذا هو سقوط جسم ما فى الفضاء ، تحت تأثير عجلة الجاذبية الأرضية.

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

- إنها تتناقص فى كل دقيقة تمضى ، ولا يمكننا حتى تقدير معامل ثابت للنقص ، أو لتزايد سرعة الجذب .. لقد أطلقنا عبارة العجلة التزايدية مجازًا فحسب .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وهو يتمتم :

- رباه ! .. إذن فهى النهاية بحق .

سأله المدير فى توتر :

- ألم يتوصل فريق علمائكم لشىء ما ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيده فى يأس ، قائلاً :

- بلى .. لقد توصلوا إلى أن موجة فوق صوتية قوية ، فى مركز الفجوة تمامًا ، كفيلة بإحداث خلل فى ذبذبتها ، وإغلاقها تمامًا ، فى غضون دقائق معدودة .

هتف المدير فى لهفة :

- عظيم .. هناك حل إذن .

هز الدكتور (ناظم) رأسه فى يأس أكثر ، وهو يقول :

- من الناحية النظرية فحسب يا رجل ، ولكن ليس من الناحية العملية ، فوصول جسم قادر على إطلاق

الموجة المناسبة ، إلى قلب الفجوة ، يحتاج إلى يومين على الأقل ، بأسرع وسيلة معروفة .

شحب وجه المدير ، وهو يقول فى عصبية :

ـ وماذا عن طاقات الدفع الصوتية ؟! .. ألا يمكنكم استخدام مدفع صوتى مثلاً ؟!

تنهّد الدكتور (ناظم) ، مجيبًا :

ـ ليت هذا ممكن يا رجل .. الصوت لا يمكن إطلاقه فى خطوط مستقيمة لمسافات طويلة كالليزر .

قال الرجل بسرعة :

ـ وماذا لو تم تحميل موجات الصوت على شعاع من الليزر ؟!

ابتسم الدكتور (ناظم) فى أسى ، وقال :

ـ موجات الصوت لا يمكن تحميلها على شعاع من الليزر يا رجل ، فما بالك بالموجات فوق الصوتية ؟! .. الذى يحدث فعليًا هو أننا نعتمد على تذبذب شعاع الليزر ، عند استقباله للموجات الصوتية ، وعلى قدرتنا على ترجمة هذه التذبذبات ، وتحويلها مرة أخرى إلى موجات صوتية .

انهار المدير على أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :

ـ رباه ! .. ليس هناك أمل إذن .

كادت الدموع تسيل من صوت الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ للأسف .

ثم رفع عينيه إلى السماء ، مستطردًا فى مرارة :

ـ هنا ينتهى دور العلم يا رجل ، ويعترف الإنسان بعجزه عن التصدّى لغضب الطبيعة ، وينحنى أمام قدرة اللّه (سبحانه وتعالى) ، مدركًا أن الخلاص بيده وإرادته وحده (عزّ وجلّ) ، وأن ما نحتاج إليه بالفعل هو عفوه ومغفرته ، و ..

وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يضيف بصوت مرتجف :

ـ ومعجزته .

وارتجف جسد مدير المرصد الجديد فى عنف ..

وخوف ..

وخشوع ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يحدّق فى ذلك الكائن العجيب المخيف ، الذى تقدّم فى خطوات ثقيلة داخل القاعة ، وعيناه الواسعتان تتطلعان إليه بنظرات وحشية غاضبة ..

وبكل دهشته ، هتف (أكرم) :

- مستحيل ! .. لا وجود لمثل هذا الكائن في الواقع .

هذا لأن الكائن الذي يقف أمامه كان تنينًا ..

نفس ذلك التنين الخرافي ، المنقوش على التحف الصينية القديمة ..

كائن أشبه بسحلية ضخمة ، تسير على أربعة أقدام ، بذيل كبير طويل ، وعنق تنتشر فيه حراشيف كبيرة ، ورأس صغير ، يعلوه قرنان صغيران ، ويتوسطه فك كبير ، تبرز منه أنياب حادة طويلة ..

وتراجع رأس التنين ، ثم اندفع إلى الأمام ؛ ليطلق من حلقه لسانًا من النار ، تفاداه (أكرم) بقفزة خلفية ، جعلته يرتطم بجدار القاعة ، وحرارة النيران تكاد تلفح وجهه ، فهتف :

- رباه ! .. إنه تنين حقيقي بالفعل .

صكت ضحكة (بلوميا) مسامعه من مكان ما ، وانطلقت ضحكات العمالقة الساخرة الشامتة ، في نفس الوقت الذي أطلق التنين فيه لسانًا آخر من النار ، وثب (أكرم) جانبًا للفرار منه ، ثم ألقى جسده أرضًا ، وهو يهتف :

- ويحتاج إلى رصاصات حقيقية .

وأطلق رصاصتين من مسدسه ، أصابتا جسد التنين ، ثم ارتدتا عنه في عنف ، حتى إن إحداهما كادت تخترق صدره ، فهتف محنقًا :

- اللعنة ! .. ألا تؤثر الرصاصات في أي شيء هنا ؟!

كان من حسن حظه أن ذلك الكائن الضخم بطيء الحركة ، يجرّ أقدامه الثقيلة جرًا ، وهو يدور في المكان ؛ ليطلق لسانًا آخر من النار ..

وانتزع (أكرم) خزانة مسدسه ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يقول في توتر شديد :

- رباه ! .. لم تتبقَ لي سوى رصاصة واحدة .

قالها ، وانطلق يعدو ؛ لتفادي لسان اللهب الجديد ، ولكن التنين أدار ذيله الضخم ، ولطمه به في قوة ، فألقاه نحو الجدار ؛ ليرتطم به في عنف ، ثم يسقط أرضًا ، وتفلت الخزانة من يده ، لتنزلق بعيدًا ..

وقفز (أكرم) واقفًا على قدميه ، وحاول أن يندفع لاستعادة خزانة الرصاصات ، إلا أن التنين ضربه مرة أخرى بذيله ، فأطاح به بعيدًا ، وضربه بالجدار مرة ثانية .

ثم أطلق لسان النار ..

وفي هذه المرة ، لفحت النيران ذراع (أكرم) ، قبل أن يتدحرج مبتعدًا ، وهو يهتف ساخطًا :

- اللعنة ! .. كيف يمكن أن يفلت المرء من شيء كهذا ؟!

تحرك في سرعة ، متفاديًا ذيل التنين ونيرانه ، ومحاولاً البحث عن وسيلة لاستعادة خزانة الرصاصات الأخيرة ، وقتل ذلك الوحش ..

ولكن التنين تراجع مع حركة (أكرم) ، ووطأ بقدمه خزانة الرصاصات ، فسحقها سحقًا ..

وتفجّر الغضب في أعماق (أكرم) ..

ليس لأنه فقد خزانة الرصاصات الأخيرة فحسب ، ولكن لأنه ، في نفس اللحظة ، كان قد توصّل إلى وسيلة القضاء على التنين ..

رصاصة واحدة تخترق عينه ، تكفي لتدمير مخه ، والقضاء عليه على الفور ..

رصاصة واحدة ..

ولكن يا للسخافة ! ..

لم يتوصّل إلى هذه الحقيقة ، إلا بعد أن فقد آخر خزانة رصاصات لديه ..

ومرة أخرى ، أطلق التنين لسان النار ..

ومرة أخرى ، اندفع (أكرم) ، محاولاً تفاديه ،

وانطلقت ضحكة (بلوميا) الساخرة ، وأجابها العمالقة بضحكاتهم البغيضة ، فهتف (أكرم) في غضب :

- أقسم أن أقتلك أيتها اللعينة .. لو أنها آخر رصاصة في ماسورة مسدسي ، لتركت هذا الوحش حيًا ، وأطلقتها في ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه في شدة ، قبل أن يهتف في انفعال :

- رباه ! .. آخر رصاصة في الماسورة !!

أدار التنين ذيله ، في هذه اللحظة ؛ ليضرب به (أكرم) مرة أخرى ، ولكن هذا الأخير وثب عبر الذيل الضخم ، هاتفًا :

- هيا أيها الوغد .. اضرب ضربتك الأخيرة .

وبخفة مدهشة ، تسلّق جسد التنين ، حتى بلغ عنقه ، فارتبك الوحش ، وتحرك في عصبية ، وتوقفت ضحكات (بلوميا) وعمالقتها ، و(أكرم) يقول في حماس :

- من سوء حظك أنني تذكرت أن الرصاصة الأخيرة في الخزانة ، لا يمكن أن تكون آخر رصاصة في أي مسدس تنطلق رصاصاته طوال الوقت .

ثم وثب يتعلّق برأس التنين ، ومال بمسدسه إلى عينيه ، مستطردًا في انفعال جارف :

- هناك دائمًا رصاصة مستقرة فى ماسورته ، ومتأهبة للانطلاق ، فور الضغط على الزناد (*) .

صدرت عن التنين حركة عصبية عنيفة ، محاولا إلقاء (أكرم) عن رأسه ، إلا أن هذا الأخير ضغط زناد مسدسه بلا تردُّد ..

وانطلقت الرصاصة الأخيرة ..

وتفجرت عين التنين ، الذى أطلق زمجرة هائلة ، تموج بالألم والذعر ، قبل أن تنسف الرصاصة مخه الصغير ، فيدور جسده حول نفسه ، ثم يهوى جثة هامدة .

ووثب (أكرم) يتعلق بنتوءات الصخور ، قبل أن يرتطم التنين بالأرض فى عنف .. وتراجع العمالقة فى رهبة ، وهم يحدقون فى الرجل الذى هزم وحش الأميرة المدلل ، فى حين ترددت فى المكان صيحة غضب وألم ، أطلقتها (بلوميا) ، فقهقه (أكرم) ضاحكًا ، وهو يلوِّح بقبضته ، هاتفًا :

- كم يروق لى أن أسمع هذا .. كم يسعدنى أن تتذوقى طعم العذاب أيتها اللعينة .

(*) حقيقة .

أطلقت (بلوميا) صرخة هادرة أخرى ، قبل أن يهوى جدار من الصخر ، ليغلق مدخل القاعة تمامًا ، فانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يهتف :

- ماذا أصابك يا أميرة الملاعين ؟! .. هل قررت سجنى هنا ؟!

ولكن لم يكد يتم عبارته ، حتى تصاعدت إلى أنفه رائحة غير طيبة ..

رائحة جعلته يتذكر تلك الحفرة ..

حفرة الحمم ..

ثم تدفقت الحمم عبر الفتحة الواسعة ، التى أتى منها التنين ..

تدفقت لتغمر أرضية القاعة ، وتلتهم جثة الوحش .

واتسعت عينا (أكرم) ..

لقد أصدرت (بلوميا) ضده حكمًا بالإعدام ..

ووضعته موضع التنفيذ ..

لقد حكمت عليه أن يلقى مصرعه وسط قاعة حيوانها المدلل ..

وفى قلب الحمم ..

* * *

تهللت أسارير (نادية) فى سعادة حقيقية ، عندما وجدت (آرى) أمامها ، عند باب الحجرة ، ولم تحاول إخفاء نبرة الفرح واللهفة فى صوتها ، وهى تهتف :

- مرحبًا يا (آرى) .. تفضّل .

دلف الفارس البشتورى إلى حجرتها فى خطوات مترددة ، وتركت هى بابها مفتوحًا كعادتها ، وهى تقول :

- كيف حالك ؟ .. وما سر هذه الزيارة المفاجئة ؟!

التفت يتطلع إليها لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

- أنت تتصورين أننى رجل فظ ، جامد المشاعر ، بلا قلب . أليس كذلك ؟!

هتفت مخلصة :

- مطلقًا .

ثم تابعت فى انفعال :

- أنا واثقة من أنك لست كذلك أبدًا ، ولكن كتفك ينوء بأحمال ثقيلة ، ومسئوليات كفيلة بقصم ظهر أشدّ الرجال ، وكل هذا يجعلك متوترًا ، عصبيًا ، و ...

قاطعها بصوت خافت :

- ليس هذا كل شىء .

حدقت فى وجهه لحظة ، قبل أن تسأله بصوت مرتجف :

- أهناك أسباب أخرى ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، قبل أن يشيح بوجهه ، ويتمتم بصوت متهدّج :

- (سولا) .

رددت وقلبها يخفق فى عنف :

- (سولا) ؟! .. ومن (سولا) ؟!

أشار بيده ، وهو يجيب :

- (سولا) هى ابنة الحاكم (كاتو) ، و ...

وصمت لحظة ، ثم ازدرد لعابه بصوت مسموع ، قبل أن يضيف :

- وخطيبتى .

انطلقت ، على الرغم منها ، شهقة مكتومة من حلقها ، وشعرت بقبضة باردة كالثلج تعتصر قلبها ، وهى تهتف فى ارتياع :

- خطيبتك ؟!

قال بسرعة :

- كانت كذلك .

سألته فى لهفة وقلق :

- ثم ؟!

ازدرد لعابه مرة أخرى ، ثم أجاب بصوت مرتجف ، من فرط الانفعال :

ـ ماتت .

شهقت مرة أخرى ، فتابع بسرعة :

ـ كنا معًا ، فى واحدة من عملياتنا ضد (المولاك) ، عندما ذقنا هزيمة منكرة ، وأصبت أنا إصابة خطيرة ، فدافعت عنى فى استماتة ، حتى وصل رجالنا ، وحملونى فاقد الوعى ، ولكن عمالقة (المولاك) حاولوا قتل فريقنا فى أثناء انسحابه ، وكان هذا يعنى مصرعى حتمًا مع الفريق ، لذا فقد ..

بتر عبارته ، وعجز عن النطق بضع لحظات ، فاتسعت عيناها ، وهى تتمتم :

ـ هل .. هل ضحت بحياتها من أجلك ؟

خيل إليها أنها تلمح بريق الدمع فى عينيه ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول بصوت شديد التهدج :

ـ نعم .. نسفت نفسها معهم ؛ لتمنعهم من اللحاق بى وقتلى ، مع باقى أفراد الفريق .

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تقول :

ـ يا لك من مسكين ! .. قلبك يدمى ، ولكنك تخفى نزيفه فى أعماقك ، خلف غلاف من الصلابة والصرامة .

هز رأسه ، وهو يتمتم :

ـ لست أعلم لماذا رويت لك هذا !؟! .. لماذا أنت بالذات ؟!

ارتفع حاجباها فى تأثر ، وهى تقول فى حنان :

ـ أنا أعلم .

التفت إليها ، متمتمًا :

ـ حقًا ؟!

تدفقت مشاعر شتى فى عروقها ، وارتجفت شفتاها ، وهى تهمس :

ـ حقًا يا (آرى) .

نطقتها ، وران على حجرتها صمت تام ، وكلاهما يتطلع إلى الآخر ، وعيناهما تحملان الكثير والكثير ، و .

« معذرة .. هل أزعجكما ؟! .. » .

نطق (نور) عبارته فى هدوء وخفوت ، وعلى الرغم من هذا ، فقد وثبت (نادية) من مكانها ، والتفتت إليه هاتفة :

ـ يا إلهى ! .. (نور) .. لقد أفزعتنى .

وانعقد حاجبا (آرى) ببعض الضيق ، فقال (نور) فى هدوء :

ـ كان الباب مفتوحًا .

سأله (آرى) فى شىء من الخشونة :

ـ ماذا تريد أيها القائد (نور) ؟

أجابه (نور) :

ـ لقد راجعت الخرائط ، التى صنعتموها لقلعة العمالقة .

قال (آرى) فى حدة :

ـ ومن سمح لك أن تفعل ؟!

تجاهل (نور) عبارته ، وهو يتابع فى حزم :

ـ ووجدت وسيلة للقضاء عليهم .

ارتفع حاجبا (آرى) فى دهشة ، فى حين هتفت (نادية) :

ـ حقًا ؟!

أجابها (نور) ، وعيناه معلقتان بـ (آرى) :

ـ حقًا يا (نادية) .. لقد درست الخريطة جيدًا ، ووجدت وسيلة مضمونة إلى حد كبير .

سأله (آرى) فى شىء من العصبية :

ـ عجبًا ! .. وكيف لم ننتبه نحن ، طوال هذه السنين إلى تلك الوسيلة ، التى كشفتها أنت فى ساعة واحدة أيها العبقرى ؟!

أجابه (نور) :

ـ من الواضح أنكم تفكرون على نحو نمطى تقليدى ، أما أنا ، فلأن لدى خبرة سابقة فى مواجهة طغاة كوكب آخر ، إبان احتلال الأرض(*) ، اعتدت التفكير بوسائل غير تقليدية على الإطلاق .

انعقد حاجبا (آرى) أكثر ، وهو يرمقه بنظرة متوترة ، قبل أن يسأله فى حذر :

ـ وما هذه الوسيلة ؟!

لوّح (نور) بسبّابته ، وكأنه يتابع رسمًا وهميًا ، قائلًا :

ـ لو راجعت الخرائط الجيولوجية للمنطقة ، ستجد ممرًا طبيعيًا ، يمتدّ لمسافة طويلة تحت القلعة ، ويرتفع بمحاذاة جدارها الخلفى ، المحفور فى الجبل ؛ حتى يبلغ ذلك البركان خلفها ، وفى هذا الممر تسيل الحمم البركانية التى يحيطون بها قلعتهم ، ويلقون فيها أسراهم ، ولو أننا زرعنا عددًا من القنابل الموقوتة ، فى الجدار الغربى للممر ، وعند نهايته العلوية ، ونقطة اتصاله بالبركان ، فسيؤدى انفجارها إلى سد المسار الطبيعى للحمم ، التى لن تجد سبيلًا آخر ، إلا بعبور القلعة نفسها .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

ارتفع حاجبا (آرى) فى دهشة بالغة ، وهو يتابع خطة (نور) ..

وخفق قلبه فى قوة ..

إنها خطة رائعة بالفعل ..

فلو تدفقت الحمم الملتهبة داخل القلعة ، فستكون مفاجأة رهيبة للعمالقة ، ترج مشاعرهم ، وتضرب أعصابهم فى مقتل ، فإما أن يلقوا مصرعهم ، قبل أن يستوعبوا الموقف ، أو يضطروا إلى الفرار من قلعتهم ، دون استعدادات مسبقة ، مما يمنح مقاتلى (بشتوريا) فرصة ذهبية لاصطيادهم ، وهم دون دروعهم ، والسيطرة على الموقف كله ..

فرصة نادرة ، لا يمكن أن تتكرر ..

وفى حماس يشف عن طبيعته المخلصة ، هتف (آرى) :

ـ خطة رائعة أيها القائد (نور) :

ثم عاد حاجباه ينعقدان فى قلق وتوتر ، وهو يغمغم :

ـ ولكن ..

سأله (نور) :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجابه فى توتر زائد ، وهو يشير بيده ، وكأنه يتابع الرسم الوهمى بدوره :

ـ حتى يمكننا زرع القنابل ، فى المواضع الصحيحة ، لابد أن نعبر ذلك النفق ، إلى جوار الحمم الملتهبة !

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

هتف (آرى) :

ـ ولكن هذا مستحيل ! .. الحمم تتدفق فى الممر كله تقريبًا ، ولا تترك سوى شريط ضيق ، من العسير عبوره .

قال (نور) فى حماس :

ـ وهذا هو المطلوب بالضبط .

هتف (آرى) فى دهشة مستنكرة :

ـ المطلوب ؟!

أجابه بسرعة :

ـ بالطبع ، فكلما كان الأمر عسيرًا وانتحاريًا ، سيبدو لخصمك أنه من المستحيل التفكير فيه ، مما يمنح عمليتك التأثير المنشود ، ويحقق عامل المفاجأة المطلوب ؛ فلا أحد سيتصور أنه من الممكن أن تفعل هذا .

هتف (آرى) :

- ولكن هذا جنون .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- ألم أقل لك ؟!

انعقد حاجبا (آرى) فى شدة ، فتنهدت (نادية) ، قائلة :

- لا فائدة يا (نور) .. لن يمكنه التضحية برجاله فى مهمة انتحارية كهذه .

التفت إليها (آرى) ، قائلاً فى حدة :

- بالطبع .

أشاحت بوجهها فى أسى ، فتابع فى حزم :

- ولكن هذا لا ينطبق علىّ .

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة ، و(نادية) تهتف :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها فى حزم حاسم :

- أعنى أننى مسئول عن أرواح رجالى ، ولن أجازف بها فى عمل انتحارى كهذا ؛ لذا فسأقوم به بنفسى .

ردّدت مبهورة :

- بنفسك ؟!

شدّ قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

- بالطبع .. القائد ينبغى أن يكون قدوة لرجاله ، وأن يقوم عنهم بكل الأدوار المهمة ، ويفتح لهم أبواب النصر .

ثم التفت إلى (نور) مستطردًا :

- انتظرنى أيها القائد (نور) .. سأوقظ الرجال ، وأشرح لهم خطتنا ، ثم ننطلق معًا لتنفيذ الدور الرئيسى .

« سأذهب معكما .. » .

نطقت (نادية) العبارة فى حزم شديد ، فانعقد حاجبا (آرى) فى شدة ، وهو يقول :

- مستحيل ! .

قالت فى عناد :

- بل سأذهب معكما .. لن تقوما بهذه المهمة الانتحارية وحدكما .

انتفض جسد (آرى) من فرط الانفعال ، وهو يقول :

- هذه المهمة لا تصلح للفتيات .

صاحت فى حدة :

- أنا لست فتاة عادية .. أنا مقاتلة فضائية من طراز خاص .

ثم لكمت الجدار بقبضتها ، مستطردة :

- وسأذهب معكما .

احتقن وجهه (آرى) بشدة ، وهو يقول :

- كلاّ يا (نادية) .. لن يمكننى احتمال هذا .. ليس مرة ثانية .

ارتفع حاجباها فى تأثر ، وهى تتطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلة :

ـ أنا أيضا لن يمكننى احتمال هذا .. لن أحتمل التفكير فى أنك تقوم بمهمة انتحارية ، وأنا أجلس هنا ساكنة .. لن أحتمل هذا العذاب أبدا .

صمت (نور) تماما ، وهو يراقبهما ، ولاحظ ارتجافة شفتى (آرى) ، قبل أن يقول بصوت خافت :

ـ (نادية) ، وجودك معنا سيربكنى .

هتفت :

ـ بل سيضاعف من قوتك ، لأنك ستذود عنى .

ثم اقتربت منه ، هامسة :

ـ أليس كذلك ؟!

كاد يذوب فى عينيها العسليتين ، وهو يتمتم :

ـ بالتأكيد .

ثم لم يلبث أن شد قامته ثانية ، وأضاف مستعيدا حزمه وصلابته :

ـ سأوقظ الرجال .

وانطلق ليبدأ خطة جديدة ، لم تكن فى الحسبان ..

خطة تدمير القلعة ..

قلعة الطغاة ..

* * *

« بدأ التأثير على القمر .. » .

نطقها مدير المرصد فى يأس شديد ، وهو يراقب شاشة الرصد ، فسرت فى جسد الدكتور (ناظم) قشعريرة ثلجية ، جعلته يستنشق الهواء فى قوة ، ثم يلفظه مع سعال عنيف ، قبل أن يتمتم :

ـ يا للخسارة !

كانت الشاشة تنقل تلك الاهتزازات الضئيلة للقمر ، والتى لا تبدو للمشاهد العادى ، والمدير يقول :

ـ تأثير جاذبية الفجوة سيحدث خللا فى جاذبية القمر ، بعد دقائق معدودة ، مما سيؤدى بالتالى إلى خلل فى عمليات المد والجزر (*) ، فتحدث بعض الكوارث البحرية المحدودة ، التى تتزايد شدتها بسرعة ، حتى تنتزع الفجوة القمر من مكانه ، فتثور الطبيعة على سطح الأرض ، مع الاختلال العنيف فى التوازن الجذبى ، وتنتشر العواصف والأعاصير والزلازل فى كل مكان ، ثم .

(*) المد والجزر ظاهرة من ظواهر البحر ، ترجع إلى التأثيرات الجذبية لكل من القمر والشمس ، ولقد عرفت العلاقة بين القمر ، وارتفاع سطح الماء فى المحيطات ، منذ ألفى سنة على الأقل ، إلا أن التفسير العلمى لم يأت إلا مع قوانين نيوتن للجاذبية ، عام ١٦٨٧ م ، والقمر يجذب كل جسيم من جسيمات الماء على الأرض ، ويتسبب فى تكوم الماء الواقع تحته مباشرة ، ليحدث مد عند هذه النقطة ، ومع دوران الأرض حول محورها يحدث الجزر ، فى الصباح والمساء .

لم يستطع نطق العبارة الأخيرة ، فبتر حديثه دفعة واحدة ، إلا أن الدكتور (ناظم) أكمله مغمغمًا :

- ثم تأتى النهاية .

- ثم تأتى النهاية .

أومأ مدير المصعد برأسه إيجابًا فى مرارة ، فزفر الدكتور (ناظم) فى عمق ، وهو يغمغم :

- يا إلهى ! .. من يتصوّر أننا نشهد الآن نهاية الأرض ؟!

هزّ المدير رأسه فى أسف وأسى شديدين ، فنهض الدكتور (ناظم) من مقعده ، ووقف فى مواجهة ركن الحجرة ، قبل أن يرفع يديه إلى رأسه فى خشوع ، فسأله المدير :

- ماذا ستفعل !

أجابه الدكتور (ناظم) فى حزم :

- سأصلى يا رجل .. هذا ما ينبغى أن يفعله أى رجل مؤمن ، عندما تحين النهاية .. أليس كذلك ؟!

تمتم المدير فى خفوت :

- بالطبع .

ثم نهض من مقعده بدوره ، ووقف إلى جواره ، وراح الاثنان يصليان للخالق (عزّ وجلّ) فى خشوع .

ودون اتفاق سابق ، راح كل منهما يهتف فى أعماقه بدعاء إلى الله (سبحانه وتعالى) أن يأتى بها .. بالمعجزة ..

* * *

أطلّ التوتر واضحًا من عينى الحاكم (كاتو) ، وهو يتطلّع إلى مقاتلى (بشتوريا) ، الذين اصطفوا فى قلب المدينة ، التى استيقظت كلها ، وامتلأت بالحماس مع كلمات (آرى) ، وهو يقول :

- إنها ساعة تاريخية فى حياة (بشتوريا) يا رجال .. ساعة ربما يتحدّد معها مستقبل كوكبنا كله إلى الأبد .. المطلوب منكم أن تنتظروا وتتأهبوا ، وعندما ترون العمالقة يفرّون من قلعتهم ، نفذوا الخطة رقم ثلاثة .

سأله أحدهم فى اهتمام :

- وماذا لو لم يفعلوا ؟!

انعقد حاجباه فى صرامة ، وأجاب :

- لو طلع الفجر ، دون أن يحدث شىء ، فسيعنى هذا أن الخطة قد فشلت ، وأن عليكم أن تعودوا إلى هنا بانسحاب منظّم ، طبقًا لخطة الطوارئ رقم سبعة .

تمتم الحاكم فى توتر :

- كنت أظن أن الهجوم الشامل غير مناسب ، فى هذه الآونة .

التفت إليه (آرى) ، مجيبًا فى حزم :

- الخطة الجديدة تجعله مناسبًا .. بل وناجحًا من الناحية النظرية .

لوّح الحاكم بكفه ، قائلاً :

- وما الداعى للعجلة ؟! .. لقد درس العلماء الموقف ، بعد أن حصلوا على ما لدى القائد (نور) من معلومات ، ووجدوا أنه من المحتمل أن تجذب تلك الفجوة قمرهم بعد أقل من نصف اليوم ، لتضرب به كوكبنا ، وتسحقهما معًا .

قال (نور) فى حزم :

- ديننا يحضنا على أن نعمل لدنيانا وكأننا نعيش أبدًا ، ونعمل لآخرتنا وكأننا نموت غدًا .

وانعقد حاجبا (آرى) فى صرامة ، وهو يقول :

- ولو أن الموت آت لا ريب ، فلم لا نموت أحرارًا ؟

والتفت إلى رجاله ، مستطردًا فى حماس :

- أليس كذلك يا رجال ؟!

هتف الرجال فى آن واحد بحناجرهم القوية ، وقبضاتهم تلوّح فى الهواء :

- بالتأكيد .

كان من الواضح أن الموقف كله لا يروق للحاكم ، أو أنه يمرّ بلحظات توتر بالغة العنف ، حتى أن (نور) سأله فى اهتمام :

- ماذا هناك أيها الحاكم ؟! .. يلوح لى أنه هناك أمر آخر يقلقك كثيرًا ؛ فأنت تعلم بما ستفعله الفجوة منذ ساعات .

تنهّد الحاكم ، قائلاً :

- أنت على حق يا ولدى .. هناك بالفعل مشكلة جديدة.

سأله (نور) فى قلق :

- وما هى ؟!

تنهّد الرجل ثانية ، ولوّح بكفه ، قائلاً :

- علماؤنا التقطوا ذبذبة أخرى فوق طبيعية ، نشأت بغتة فى مدار كوكبنا ، وهى تقلقهم بشدة .

سأله (نور) وقد انتقل إليه قلقه :

- أهى خاصة بالفجوة أيضًا ؟!

هزّ الحاكم (كانو) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلاّ .. إنه خلل مباغت فى الحاجز الزمكانى ، لم يتم تسجيل مثله من قبل قط .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

- الحاجز الزمكانى ؟! .. فى أى شىء تستخدمون هذا المصطلح بالضبط ؟!

تطلع إليه الحاكم لحظة ، قبل أن يقول :

- آه .. من الواضح أنكم لم تتوصلوا إلى هذا الجانب العلمى بعد .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع :

- منذ سنوات عديدة ، وخلال أبحاث ما بعد الهزيمة ، توصل أحد علمائنا ، بالمصادفة البحتة ، إلى كشف مجال جديد غير منظور ، ينتشر فى كل مكان ، وأطلق عليه اسم المجال الزمكانى ، والمصطلح يعنى المجال الذى يربط الزمن بالمكان ، ويطلقهما معًا بحرية لامحدودة ، بمعنى أنك لو استطعت عبور الحاجز الوهمى ، الذى يفصل بين عالمنا والمجال الزمكانى ، لصارت طاقاتك بلا حدود ، ولأمكنك أن تنتقل إلى أية نقطة ، عبر المكان أو الزمان ، بمجرد رغبتك فى هذا .

أعاد هذا الحديث إلى (نور) ذكرى أحلامه مع (محمود) ، فسأل فى توتر :

- وهل تمكن علماؤكم من دخول هذا المجال ؟!

هز رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- مطلقًا .. معادلاتهم تؤكد أن هذا يحتاج إلى طاقة هائلة ، لم تعد متوافرة لدينا ، كما أن المشكلة الحقيقية تكمن فى العودة من هذا المجال إلى العالم الملموس .

قال (نور) فى انفعال :

- هذا أيضًا يحتاج إلى طاقة هائلة .. أليس كذلك ؟!

أجابه الحاكم فى توتر :

- ليست هذه هى المشكلة ، فالعودة لا تحتاج إلى الطاقة ، بقدر ما تحتاج إلى وسيلة اتصال .

انعقد حاجبا (نور) وهو يسأل :

- مثل ماذا ؟!

أجابه بعد تنهيدة عميقة :

- لا أحد يدرى بعد .. ربما تلك الأجهزة التى نستخدمها لرصد الفجوة ، أو طبيعة فضائنا الثائرة ، أو حتى تلك الحمم ، التى تتدفق فى كل مكان فى كوكبنا .. شىء ما استخدمناه ، أو نستخدمه ، صنع وسيلة اتصال مناسبة ، جعلت شيئًا ما داخل المجال الزمكانى ، يبذل قصارى جهده ، فى محاولة عبور الحاجز ، والعودة إلى عالمنا الملموس .

خفق قلب (نور) فى قوة ، وهو يقول :

- أيمكن أن يحدث هذا بالفعل ؟

هزّ الحاكم كتفيه ، قائلا :

ـ ولم لا ؟! .. من الواضح أن كل الظروف قد تضافرت ، لتصنع وسيلة الاتصال المناسبة .. الفجوة ، والفضاء غير المستقر ، وأجهزتنا ، وكوكبنا المضطرب .. كل العوامل صارت مناسبة للغاية ؛ ليظهر فى مكان ما ، وزمان ما ، لا يمكن تحديدهما أبدًا .

ثم عاد صوته يحمل الكثير من التوتر ، وهو يستطرد :

ـ ولكن المشكلة هى ما ذلك الشىء ، الذى يجاهد لاختراق الحاجز الزمكانى ، والقدوم إلى عالمنا ؟! .. أهو ضيف كريم ، أم وحش مفترس ، لا قبل لنا به ؟!

قال (نور) فى لهفة :

ـ أو هو آدمى ، سقط فى المجال الزمكانى بوسيلة ما ، ويسعى للعودة إلى العالم الملموس .

حدّق الحاكم فى وجهه بدهشة ، مغمغمًا :

ـ آدمى ؟!

هتف (نور) فى حماس :

ـ ولم لا ؟! .. ربما كان آدميًا ، تعرّض لطاقة هائلة ، فى ظروف غير طبيعية ، فضاع وسط نهر الزمن ، و ...

استوقفه الحاكم ، وهو يقول فى دهشة :

ـ مهلاً أيها القائد (نور) .. هل تتحدث عن تجربة شخصية ؟!

استعاد ذهن (نور) ذكريات مؤلمة ، وهو يغمغم(*) :

ـ هذا صحيح .

تنهّد الحاكم مرة أخرى ، ثم ربّت على كتفه ، قائلاً :

ـ معذرة أيها القائد (نور) ، ولكن ما اتفق عليه علماؤنا ، يخالف ما تتمناه تمامًا .

وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، مستطردًا :

ـ فذلك الشىء ، الذى يحاول اختراق الحاجز الزمكانى ليس آدميًا .. ليس كذلك على الإطلاق .

وكانت مفاجأة جديدة لـ (نور) ..

مفاجأة عنيفة ..

ومؤلمة .

* * *

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

٨ - الانتحاريون ..

« يا له من مشهد رهيب !! .. » .

نطقت (نادية) العبارة ، بكل ما تفيض به نفسها من انفعالات ، وهي تتجه مع (نور) و(آرى) إلى تلك البقعة ، التي تتدفق منها الحمم الملتهبة ، في قلب الجبل ، فسألها الأخير ، وهو يعاونها على عبور منطقة شديدة الوعورة :

- هل تشعرين بالخوف ؟!

أجابته في ثقة :

- الخوف شعور طبيعي ، لابد أن يعاني منه كل شخص عاقل .. حتي أشجع الشجعان يشعر بالخوف ، ولكنه ينجح في التغلب عليه ، ولولا هذا ما استحق لقب (شجاع) .

ابتسم قائلا :

- لديك قدرة مدهشة على تبسيط الأمور .

أجابته في سرعة ، وهي تثب إلى صخرة كبيرة :

- لأنها بسيطة بالفعل .

تنهد (نور) ، وقال في لهجة جافة ، مشيرا إلى مدخل الممر الطبيعي :

- ربما كانت الأمور كذلك ، في المرحلة السابقة ، ولكنها ستصبح معقدة ، اعتبارا من هذه النقطة .

تطلع (آري) و(نادية) إلى المدخل ، والنتوء الضيق في جداره ، الصالح للسير في صعوبة ، وقالت (نادية) :

- أنت علي حق .. هنا تبدأ الصعوبة .

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، ثم وثب إلى صخرة أخري ، وألصق ظهره بالجدار الصخري ، وراح يتحرك في حذر علي النتوء ، وهو يحمل معدات التفجير .

وفي خفة ألحق به (آري) ، ثم عاون (نادية) على الوصول ، وراح الثلاثة يسيرون في بطء ، علي النتوء الضيق .. والحمم تتدفق تحت أقدامهم ، وحرارتها الرهيبة تجعل العرق يغمر أجسادهم بشدة ..

وبدا الممر أمامهم ممتدا إلى مالا نهاية ، فتمتمت (نادية) :

- أنتما واثقان من أننا نستطيع عبوره حتي النقطة المنشودة ؟!

غمغم (نور) :

ـ هذا ما تؤكده الخرائط الجيولوجية .

تنهد (آرى) ، قائلا :

ـ هذا صحيح ، ولكن تذكر أن أحدث الخرائط الجيولوجية لدينا ، تم رسمها منذ خمسين عامًا على الأقل ، وربما حدثت تغيرات عديدة ، منذ ذلك الحين .

قال (نور) وهو يسير في حذر :

ـ بل من المؤكد أنها حدثت ، ولكن السؤال هو : هل ستأتي تلك التغيرات لصالحنا أم ضدنا ؟!

قال (آرى) في توتر :

ـ الوسيلة الوحيدة لحسم هذا الأمر ، هي المضي عبر الممر .

غمغم (نور) :

ـ وهذا ما نفعله .

ولفترة طويلة ، واصل الثلاثة سيرهم في صمت ، فوق النتوء الضيق ، وعيونهم تلتهب بعرقهم الغزير ، الذي بلل ثيابهم تمامًا ، وكأنهم خرجوا على الفور من أعماق البحر ، والحرارة تزداد ارتفاعًا ، كلما توغلوا في الممر ..

وبدا لهم الوقت وكأنه لا يمضي أبدًا ..

والممر وكأنه بلا نهاية ..

ومع الغازات المتصاعدة من الحمم الملتهبة ، شعر (نور) بصدره يضيق ، وبأنفاسه تتلاحق ، فأخرج من جيبه قناع أكسجين صغير ، ووضعه على أنفه وفمه ، وهو يقول :

ـ هذه الأقنعة تحوى ما يكفينا لساعة واحدة من الهواء النقي ، لذا فقد ادخرتها للوقت الذي تصبح فيه ضرورية .. حاولا التقاط أنفاسكما في بطء وعمق ، حتى يكفينا الهواء لأطول وقت ممكن ؛ فنحن لا ندرى ماذا ينتظرنا بعد هذا .

وضعت (نادية) القناع على وجهها ، وهي تسأل :

ـ ولماذا لم تحضر المزيد من هذه الأقنعة ؟!

أجابها (آرى) :

ـ لأننا لا نملك المزيد منها بكل بساطة .

صمتت لحظة ، ثم تمتمت :

ـ آه .. فهمت .

واصلوا السير مرة أخرى في صمت ، وبدا لهم أن الأمر أشق مما تصوروا، والحرارة تتزايد رويدًا رويدًا ، والنتوء يضيق أكثر وأكثر ، حتى صار السير فوقه عسيرًا للغاية ..

وفي إرهاق ، تمتم (آرى) :

- لم أكن أتصور أن الأمر بهذه الصعوبة .

تنهد (نور) قائلا :

- ومن الواضح أنه يزداد صعوبة ، كلما تقدمنا .

غمغمت (نادية) :

- ولكن الممر يتسع أكثر .

أجابها (نور) ، وهو يواصل السير فوق النتوء الضيق :

- هذا صحيح ، ولكنه يزداد وعورة ، والغازات والأبخرة المتصاعدة تتكاثف أكثر ، حتى إننى أعتقد أن الرؤية ستصبح منعدمة ، بعد عشرين مترا أخرى على الأكثر .

هتف (آرى) :

- عشرون مترا أخرى ؟! .. يا إلهى ! . كم تبقى لنا ، حتى نبلغ المنطقة المنشودة .

أجابه (نور) فى حزم :

- بعد ثلاثين مترا تقريبا ، سنصل إلى نهاية الممر الأفقى ، وسنجد أمامنا ممرا صاعدا ، بزاوية أربعين درجة تقريبا ، يقودنا إلى الجدار الخلفى للقاعة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، على نحو جعل (نادية) تسأل فى قلق :

- ماذا حدث ؟!

أشار إلى الأمام ، قائلا :

- النتوء ينتهى هنا .. من الواضح أن عوامل التعرية أدت إلى سقوطه .

سأله (آرى) فى توتر :

- ماذا سنفعل إذن ؟! .. لا يمكننا السير فى قلب الحمم قطعا .

أشار (نور) إلى جزء بارز فى جدار الممر ، قائلا :

- انظر هناك .. النتوء يتصل مرة أخرى ، على بعد خمسة أمتار تقريبا ، ولو أمكننا التعلق بهذا الجزء البارز ، والقفز إلى الجانب الآخر ، سنبلغ بداية النتوء التالى ، وعندئذ يمكننا أن نواصل سيرنا .

تطلع (آرى) إلى الجزء البارز فى الجدار ، ثم إلى النتوء الآخر ، الذى يرتفع ما يقرب من ثلاثة أمتار عن الحمم المتدفقة ، وقال :

- هل تعتقد أنه يمكننا أن نفعل هذا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتطلع إلى الجزء البارز :

- لا يمكننا أبدا إجابة هذا السؤال .

ثم وثب فجأة ، مستطردا :

- إلا بالتجربة .

شهقت (نادية) ، عندما رأته يتعلق بالجزء البارز من الجدار الصخرى ، ويتأرجح مرتين ، ثم يقفز نحو النتوء الآخر ، الأوسع نسبيًا ، ويستقر فوقه فى صلابة ، ويستدير إليهما ، قائلًا :

ـ الآن نعم .. أعتقد أنه يمكننا أن نفعل هذا .

شدّ (آرى) قامته ، وقال فى حزم :

ـ بالتأكيد .

نطقها وربت على يد (نادية) التى تمتمت بصوت متهدج :

ـ احترس .

ابتسم فى وجهها وربت على يدها ثانية ، ثم وثب بدوره ، وتعلق بالجزء البارز من الجدار ، وقفز منه إلى النتوء الآخر ، ولم يكد يستقر فوقه ، حتى التفت إلى (نادية) ، هاتفًا فى حماس :

ـ نعم يا عزيزتى .. يمكنك عمل هذا .. أنت مقاتلة فضائية متميّزة ، وستنجحين بإذن الله .

ارتفع حاجباها فى حنان ، وغمغمت :

ـ سأفعلها من أجلك .

قالتها ، واستجمعت كل قوتها ..

وقفزت ..

وفى مهارة حقيقية ، تعلقت بالجزء البارز فى الجدار ، وتأرجحت مرتين ، و(آرى) يهتف :

ـ رائع يا عزيزتى .. هيا .. بقيت القفزة الأخيرة .. هيا .

ابتسمت (نادية) ، وتأرجحت مرة ثالثة ، ثم ...

ثم ارتج المكان كله بغتة ..

كانت مرحلة نشاط أخرى ، يمرّ بها البركان لثوان معدودة ..

ولكن هذه الثوانى كان لها أثر رهيب .

لقد اختلّ توازن (نادية) ، وهى تبدأ قفزتها ..

ولم تستطع بلوغ النتوء الآخر ..

وأمام عيون (نور) و(آرى) المذعورة ، أطلقت (نادية) صرخة رعب هائلة ، و ..

هوت .. وهوت .. فى قلب الحمم ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يراقب تلك الحمم ، التى ارتفعت ؛ حتى بلغت نصف جثة التنين ، وراحت تواصل ارتفاعها فى بطء ، نحو الجزء الذى يتعلق به من الجدار الصخرى ..

ولكن ضحكات (بلوميا) توقفت ، ولم تعد تتردد فى المكان ..

لقد اختل توازن (نادية) ، وهى تبدأ قفزتها .. ولم تستطع بلوغ النتوء الآخر ..

والجدار الصخرى يحجب عنه سخرية العمالقة الآخرين وشماتتهم .

ولكن إلى متى ؟! ..

الجحيم ستواصل ارتفاعها ، حتى تشويه حيًا بحرارتها ، قبل أن تلتهم جسده فعليًا ..

مالم يجد مخرجًا ..

وبسرعة ، راح عقله يدرس الموقف ، ويبحث عن مخرج ما ..

ولم يكن أمامه سوى مكان واحد ، لا يدرى حتى ما يمكن أن يجده خلفه ..

المكان الذى أتى منه التنين ..

ودرس (أكرم) الموقف ثانية ..

ثم حسم أمره ..

وقفز ..

قفزة ماهرة مرنة ، جعلته يهبط على الجزء المتبقى من جثة التنين ، التى تصاعدت منها رائحة شواء ، ثم وثب مرة أخرى نحو الجدار المقابل ، وتعلق بجزء بارز منه ، انزلق معه فى خفة ، حتى أصبح داخل القاعة الثانية ، التى أتى منها التنين ..

ولثانية أو ثانيتين ، تعلق (أكرم) بطرف الصخرة البارزة ، وهو يدير عينيه فى المكان الجديد ، الذى تغطى الحمم أرضيته أيضا ..

ثم توقف ببصره عند جزء فى أعلى القاعة ..

نافذة صخرية مستديرة ، تبدو وكأنها مصنوعة خصيصا ، ليطل منها البعض على التنين وقتما يشاء .

وأدرك (أكرم) على الفور أن هذه النافذة هى أفضل مخرج من قاعة الجحيم هذه ..

ولكن ما السبيل للوصول إليها ..

تابعت عيناه البروزات الصخرية الطبيعية فى الجدار، ورسم خطة الحركة فى سرعة ثم وضعها موضع التنفيذ على الفور ، دون أن يضيع لحظة واحدة ، وهو يسعل فى شدة ، مع الغازات المتصاعدة من الحمم ..

وبخفة مدهشة ، وثب (أكرم) من جزء إلى آخر عبر الجدار ، وراح يتسلقه فى مهارة ، اكتسبها من معيشته القاسية إبان فترة الاحتلال ؛ حتى بلغ تلك الفتحة ، فتعلق بها ، ودفع جسده عبرها ، وهو يطلق ضحكة ساخرة ظافرة ، هاتفا :

- اختنقى بضحكتك أيتها اللعينة .. لقد نجوت .

قالها قبل أن يستقر داخل الممر الواسع ، الذى يمتد

من النافذة ، ويتطلع إليه طويلا ، وهو يلهث فى قوة ، محاولا استرداد بعض حيويته ونشاطه ..

ولثوان ، أسبل (أكرم) جفنيه ، وأسند مؤخرة رأسه إلى جدار الممر ، وهو يتمتم :

- يا إلهى ! .. من أين أتيت بكل هذا النشاط يا (أكرم) ؟.. إنك لم تذق النوم إلا قليلا منذ يومين يا رجل ، وتواجه المخاطر بلا انقطاع ، وتعرضت لتعذيب رهيب .. من أين كل هذا النشاط إذن ؟!

كان يتحدث إلى نفسه ، كما لو أنه يخاطب رجلا آخر ، والعجيب أن هذا الحوار الخافت جعله يسترخى فى مكانه ، ويغلق عينيه طويلا ، و ...

« أكرم » .

تردد الصوت داخله فى عمق ، فهتف فى دهشة ، وهو ينطلق عبر ممر طويل :

- (محمود) ؟! أهو أنت ؟! أين أنت يا (محمود) ؟! أين أنت ؟!

أتاه صوت (محمود) ، يقول :

- أقرب إليك مما تتصور يا صديقى .. إننى أبذل قصارى جهدى من أجلكما .. من أجلك أنت و(نور) ..

سأله (أكرم) فى لهفة :

- هل ستنضم إلينا ؟!

صمت (محمود) طويلا ، وبدا الممر وكأنه يمتلىء بضباب خافت ، فكرر (أكرم) فى قلق :

- هل ستنضم إلينا يا (محمود) ؟

أجابه (محمود) فى عمق :

- سأفعل كل ما يمكننى من أجلكما يا (أكرم) .. من أجل الجميع .

بدا ظل من بعيد ، وسط الضباب ، الذى يتكاثف بسرعة ، فاندفع (أكرم) نحوه ، هاتفا :

- عد يا (محمود) .. لا تذهب .. عد .

ولكن ذلك الظل اختفى وسط الضباب ، الذى أحاط به من كل جانب ، فهتف (أكرم) ثانية :

- أين أنت يا (محمود) ؟

خيل إليه أنه يسمع صوت ماء يجرى من بعيد ، فالتفت إلى مصدر الصوت ، وتجمد فى مكانه تماما ، وهو يتمتم :

- (محمود) ..

ولكن فجأة ، بدا له ذلك الماء ، الذى يجرى ناحيته .

وارتفع حاجباه فى مزيج من الدهشة والذعر .

فهذا الذى يتدفق بسرعة لم يكن ماء ..

كان جحيما ..

جحيما ملتهبة .. و ..

وانتفض جسد (أكرم) فى عنف ..

انتفض وهو يستيقظ من غفوة قصيرة ، واتسعت عيناه بشدة ، وكأنما لا يصدق أنه استسلم للنوم ، ثم هز رأسه فى عنف ، هاتفا :

- لا يا (أكرم) .. لا تتخاذل الآن .. هيا .. تحرك بسرعة ، لتضرب هؤلاء الأوغاد ، قبل أن يكشفوا نجاتك من (الميكروويف) ، الذى وضعوك فيه .

لم تكن قد تبقت له رصاصة واحدة فى مسدسه ، وعلى الرغم من هذا فقد أطبق أصابعه على مقبضه فى قوة ، وكأنما يستمد منه الأمان ، وتقدم عبر الممر الواسع فى حذر شديد ..

ولم يكن الممر قصيرا ..

كان أطول مما توقع بكثير ، ويمتد دون أية فتحات أخرى ، حتى ينتهى إلى حجرة صغيرة ، يمتد منها ممران آخران ..

وابتسم (أكرم) فى سخرية ، وهو ينقل عينيه بين الممرين ، قائلا :

- ترى أى طريق اخترتم لى هذه المرة أيها الأوغاد ؟!

توقف بعض الوقت داخل الحجرة الصغيرة ، وهو يرهف سمعه جيدا ، حتى تناهت إلى مسامعه أصوات مختلطة ، لحديث يدور بين عدة أطراف ، فعقد حاجبيه ، وغمغم :

- عجبا ! .. أهى أصواتهم حقا ، أم أن أذنى تخدعنى !

وتقدم بسرعة عبر الممر الفرعى ، الذى تسللت منه الأصوات ، والذى انتهى به إلى حجرة نصف مستديرة ، تنتهى بنافذة من خشب متهالك ، تطل على قاعة العرشين مباشرة ..

وخفق قلب (أكرم) فى عنف ..

ففى القاعة ، كان (هارلاك) والأمير والأميرة يتحدثون بأصوات مرتفعة ، تقاطعها زمجرة غاضبة مرة ، أو مواء عصبى مرة أخرى ، والحراس العمالقة صامتون جامدون ، وكأن الأمر لا يعنيهم ، أو أنهم أصيبوا بصمم أبدى ..

وكان من الواضح أنه هناك أمر ما ، يثير قلق الأميرين وقائد فرسانهم ..

أمر يستحق أن يجتمعوا ويتناقشوا بكل الحدة ، فى مثل هذه الساعة المتأخرة ..

وعلى الرغم من أن (أكرم) ، لا يفهم كلمة واحدة

من حديثهم ، فقد مال إلى الأمام ، والتصق بالنافذة الزجاجية ، وهو يرهف سمعه على نحو غريزى .. و .. وفجأة ، انهارت النافذة الخشبية المتهالكة تحت ثقله ، وأطلقت فرقعة عنيفة فى القاعة .

ثم انهارت دفعة واحدة ..

ومع انهيارها المباغت ، اختلَّ توازن (أكرم) ، وسقط من ارتفاع ثلاثة أمتار ، داخل قاعة العرش ..

وقبل أن يستعيد توازنه ، أو ينهض من مكانه ، كانت رءوس حراب الحراس العمالقة فوق جسده .

وكانت الأميرة (بلوميا) تطلق صيحتها الحادة الرفيعة ، الشبيهة بصوت قط يستعد لخوض معركة شرسة ، ومخالبها تبرز من أطراف أصابعها ، وتبدو حادة هذه المرة أكثر من المعتاد ..

حادة على نحو مخيف ..

* * *

بدا التوتر واضحا ملموسا ، على ملامح الحاكم (كاتو) ، وهو يسير داخل مقره ، فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، وعقله يراجع تفاصيل الموقف كله مرات ومرات ، وكأنما تفرغت كل خلايا مخه للتفكير فيه ..

كان يعلم أنها لحظة مصيرية في حياة (بشتوريا) كلها ..

ويعلم أيضًا أن تلك الحياة ستنتهي قريبًا ..

قريبًا جدًا ..

فطبقًا لحسابات علماء (بشتوريا) ، ولكل المعلومات التي قدمها (نور) ، لن ينقضي يوم آخر ، إلا وتأتي نهاية الكوكب كله ..

وستكون نهاية رهيبة ..

وعنيفة ..

والكل عاجز عن منع الكارثة ، على الرغم من معرفتهم بالسبيل إلى هذا ..

الكل عاجز ..

وآسف ..

ويائس ..

ويالة من قدر ! ..

بعد أجيال وأجيال من الكفاح ، تتوصل (بشتوريا) إلى وسيلة لهزيمة أعدائها ، واستعادة مكانتها ، في نفس الوقت الذي تحين فيه نهايتها !!

ولكن (أروى) على حق ..

مادام الموت آت لا ريب ، فلتمت أحرارًا ..

« سيدي الحاكم .. » :

انتزعه صوت كبير علماء (بشتوريا) من أفكاره ، فالتفت إليه بسرعة ، هاتفًا في انفعال :

= هل من جديد ؟!

أجابه كبير العلماء في توتر زائد :

= تلك الذبذبة ، عند الحاجز الزمكاني .. لقد تضاعفت على نحو عجيب .

قال الحاكم في قلق :

= ولكن هذا ما كنا نتوقعه .. أليس كذلك ؟

أومأ كبير العلماء برأسه موافقًا ، وقال :

= ولكننا استخدمنا موجة خاصة ، لرسم ذلك الشيء ، الذي يحاول عبور الحاجز إلى عالمنا .

هتف الحاكم في دهشة :

= حقًا ؟!

أشار كبير العلماء بيده ، مغمغمًا :

= هل ترغب في رؤيته ؟!

أجابه الحاكم ، وهو يتحرك بخطى سريعة :

= بالتأكيد ..

واندفع الاثنان عبر شوارع (بشتوريا) الساهرة ، حتى بلغا المركز العلمي للمدينة ، فأشار كبير العلماء

إلى شاشة داكنة ، ارتسمت عليها صورة ما، وهو يقول بصوت مضطرب :

ـ ها هوذا !

حدق الحاكم فى الصورة على الشاشة ، قبل أن يهتف فى ارتياع :

ـ رباه !

قال كبير العلماء متوترًا :

ـ بعض الزملاء يعتقدون أن الفجوة البيضاء ونشاطها الزائد ، هما السبب المباشر فى صنع وسيلة الاتصال ، التي تسمح بعبور الحاجز الزمكانى ، والبعض الآخر يؤكد أن نشاط أجهزتنا هو السبب ، بينما يصرّ فريق ثالث على أن النشاطين معًا هما الـ ...

قاطعه الحاكم بلهجة صارمة آمرة :

ـ أوقفوا كل الأجهزة .

كادت عينا كبير العلماء تجحظان من فرط الدهشة ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟!

كرّر الحاكم فى صرامة أكثر :

ـ أوقفوا كل الأجهزة ، سنتوقف عن رصد ما يحدث فى الحاجز الزمكانى ، فربما كان هذا هو الاتصال اللازم ، لعبور هذا الشىء إلى عالمنا .

رفع كبير العلماء حاجبيه ، قبل أن يقول :

ـ كما تأمر أيها الحاكم .

واندفع لإبلاغ الأمر لزملائه ، فى حين انعقد حاجبا الحاكم فى شدة ، وهو يحدق فى الشاشة ، التى تنقل صورة ذلك الشىء ، الذى يكاد يعبر الحاجز إلى عالمهم المادى ..

وخفق قلبه فى عنف ..

فقد كان من الواضح أن هذا الشىء غير آدمى ..

غير آدمى على الإطلاق ..

* * *

كل شىء حدث فى أقل من ثانية واحدة ..

ارتج المكان مع النشاط الزائد المباغت للبركان ، واختلّ توازن (نادية) ، وأطلقت صرختها الرهيبة ، و ...

وهوت فى قلب الحمم ..

وقبل أن تبلغ تلك الثانية نهايتها ، قفز (آرى) أيضًا ..

قفز على نحو انتحارى مدهش والتقط معصم (نادية) ، قبل أن تهوى تمامًا ..

ولكن ثقل جسدها أخلّ بتوازنه أيضًا ..

وضرب (آرى) الهواء بذراعه اليسرى في عنف ، محاولا منع جسده من السقوط ، وهو يتشبث بـ (نادية) بكل قوته ، بيده اليمنى .

وصرخت (نادية) :

ـ اتركني يا (آرى) .. اتركني وإلا سقطنا معا .

هتف بكل حزم وصرامة الدنيا :

ـ مستحيل !!

ولكن جسده مال بزاوية حادة ، كادت تدفع مركز ثقله خارج النتوء البارز(*) ، لولا أن أمسك به (نور) في قوة ، قائلا :

ـ تماسك يا رجل ، ولن يسقط أحد .

(*) مركز الثقل : يمكن اعتبار أية قطعة من المادة ، بصرف النظر عن شكلها ، مكونة من عدد لا محدود من الجسيمات تؤثر عليها قوة الجاذبية ، ومن ثم فإن وزن قطعة المادة ، يمكن اعتباره محصلة لمجموعة القوى المتوازية ، وهذه المحصلة تؤثر بطول خط ، يتوقف اتجاهه على شكل الجسم وموضعه ، وتعرف النقطة الواقعة على هذا الخط ، والمشتركة لجميع اتجاهاته المحتملة ، باسم (مركز الثقل)

كان يلصق ظهره بالجدار ، بكل ما يملك من قوة ، حتى لا يختل توازنه بدوره ، ويهوى ثلاثتهم في قلب الجحيم ..

وبكل قوته ، جذب (آرى) (نادية) ، ورفعها إلى النتوء ، وتعاونت هي معه ، بكل مرونتها وخبرتها ، حتى أصبحت إلى جواره ، فلهثت هاتفة :

ـ أنا مدينة لك بحياتي .

ربت على كتفها في حنان وارتياح ، وهو يغمغم :

ـ لا يمكنني أن أتصور الحياة بدونك .

تنحنح (نور) في حرج ، وهو يقول :

ـ دعونا نواصل سيرنا ، فالوقت يمضي بسرعة ، والهواء سينفد بعد قليل .

سأله (آرى) في اهتمام ، وهم يواصلون السير على النتوء الصخري :

ـ هل تعتقد أن الهواء سيكفي ، حتى تنفذ الخطة ؟!

ألقى (نور) بنظرة على ساعة يده ، قبل أن يجيب :

ـ هذا يتوقف على سرعة إنجازنا للأمور .

واصلوا السير لعدة دقائق أخرى ، حتى بدا لهم ذلك النفق شبه الرأسي ، و ..

وفجأة ، ارتج المكان كله ثانية ..

ولكن على نحو أكثر عنفا ..

والتصقت (نادية) بالجدار بكل قوتها ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! .. إنه نشاط زائد للغاية هذه المرة .. أخشى أن ينفجر البركان ، أو ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، ارتجّ المكان ثانية ، ثم ارتفع هدير عنيف عبر النفق ، فهتف (آرى) فى انزعاج :

- إنه انهيار صخرى .

ومع آخر حروف كلماته ، ظهر سيل من الصخور ، وهو يتدحرج فى قوة ، عبر النفق شبه الرأسى ، دافعا أمامه كميات هائلة من الحمم ، ومولّدا أطنانا من الدخان والغازات ..

وصاح (نور) بكل قوته :

- التصقا بالجدار .. أسرعا .

كان الهدير يصمّ الآذان ، والدخان يغمر الممر من غازات سامة كثيفة ، والحمم تتطاير فى عنف ، وهى تجري بسرعة زائدة عبر الممر .

باختصار ، لقد تحوّل المكان إلى جحيم حقيقي ..

وعلى الرغم من التدريبات القاسية ، التى تلقتها منذ حداثتها ، أطلق الموقف أنوثة (نادية) من عقالها ، فانطلقت تصرخ فى رعب شديد ، إزاء الأحداث العنيفة الرهيبة ..

وخُيّل للثلاثة أن درجات الحرارة قد ارتفعت ألف مرة ، فى الثوانى الأخيرة .

ثم فجأة ، انهار ذلك الجزء من النتوء ، تحت قدمى (آرى) ، الذى شهق فى قوة ، وهو يفقد توازنه بغتة .

وقفزت (نادية) ، محاولة إنقاذه ، ولكن يدها ارتطمت بقناع الهواء الصغير على وجهه ، فطار عنه فى عنف ، وسقط وسط الحمم ، التى التهمته فى لحظة واحدة بينما سقط (آرى) نفسه فوق الصخور المنهارة ، وارتطم بها فى عنف ..

ومع الصرخة التالية ، التى انطلقت من حلق (نادية) ، حاملة كل ذعرها ، وخوفها ، وارتياعها ، اختفى جسد (آرى) تحت أطنان من الدخان الكثيف والغازات السامة ..

وبلا قناع واق .

* * *

٩ - العاجز ..

لم يكد (آرى) يسقط فوق الصخور المنهارة ، حتى وثبت (نادية) خلفه ، وهى تهتف باسمه فى لوعة وارتياع :

وبلا تردد ، قفز (نور) خلفها ، وانحنى يجذب جسد (آرى) ، هاتفا :

- لن يحتمل البقاء طويلا ، دون قناع واق .

انتزعت قناعها عن وجهها ، وأسرعت تضعه على وجه (آرى) ، قائلة :

- سيحصل على قناع واق .

هتف (نور) :

- وماذا عنك ؟

أجابته فى حزم :

- يمكننى الامتناع عن التنفس .. لقد تدربت على هذا .

صاح (نور) ، وهو يجذب (آرى) بعيدا ، دون أن يدرى إلى أين يذهب به ، وسط هذا الجحيم الثائر :

- ليس إلى الأبد .

قالت فى صرامة :

- فليكن .. لن يعود هذا القناع إلى وجهى ، طالما يحتاج هو إليه .

كان (نور) يدرك أنه ما من فائدة من مجادلتها ؛ فاكتفى بجذب (آرى) الفاقد الوعى ، إلى جانب النفق ؛ وهو يقول فى توتر :

- الانهيار يسد الجزء الجاف فى الممر ؛ ولم يعد بإمكاننا زرع القنابل فى الموضع المنشود .

هتفت :

- هل تعنى أن الخطة قد فشلت ؟

أجابها فى مرارة :

- بالتأكيد .. لقد عاندنا الـ ..

ثم بتر عبارته بغتة ، هاتفا :

- رباه ! .. هناك مدخل جانبى .

لم تر ذلك المدخل ، الذى يتحدث عنه ، مع الدخان الكثيف ، فتركته يقودها إليه ، وهى تتعاون معه فى حمل (آرى) ، حتى وجدت نفسها بغتة داخل نفق جانبى بالفعل ، فهتفت :

- رباه ! .. لم يكن هناك وجود لمثل هذا النفق ، فى الخرائط الجيولوجية .

أجابها وهو يتطلع فى اهتمام إلى النفق ، الذى تقل كثافة الدخان فيه كثيرًا عن النفق الرئيسى :

– كل شىء يمكن أن يتغير ، خلال نصف قرن من الزمان .

سعلت فى قوة ، قبل أن تقول :

– بالتأكيد ، ولكننى أعتقد أن هذا النفق الفرعى هنا ، منذ فترة طويلة ، ولكن موقعه جعل رؤيته عسيرة ، بالنسبة للرسامين الجيولوجيين .

أضاء (نور) مصباحًا يدويًا صغيرًا ، منحه إياه البشتوريون ؛ ليفحص أعماق ذلك النفق الفرعى ، وهو يقول :

– إنه عميق ، ويمتد إلى مسافة كبيرة .. ترى إلى أين يقودنا ؟!

غمغمت (نادية) ، وهى تتعاون معه فى حمل (آرى) إلى داخل النفق ، بعيدًا عن النفق الرئيسى وحرارة الحمم :

– أعتقد أنه يمتد أسفل القلعة ، أو بمحاذاة جدارها الشمالى .

صمت (نور) لحظة ، وهو يعيد فحص النفق ، ثم لم يلبث أن غمغم :

– فليكن .. من الواضح أنه ليس أمامنا سوى أن نقطعه حتى آخره ، ولنأمل أن يقودنا إلى النجاة .

راحا يتقدمان عبر النفق ، وهما يحملان (آرى) ، حتى تأوه هذا الأخير ، وغمغم :

– يا إلهى ! .. ماذا حدث ؟! .. إننى أشعر بصداع رهيب .

أجابه (نور) :

– حمدًا لله على سلامتك يارجل .

اعتدل (آرى) ، وتطلع حوله ، قائلًا فى دهشة متوترة :

– رباه ! .. أين نحن ؟!

ترقرقت عينا (نادية) بالدموع ، وهى تقول :

– حمدًا لله على سلامتك يا (آرى) .. لقد نجوت بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدق فى وجهها ، قبل أن يهتف :

– أنت لا ترتدين قناعًا واقيًا ، وهذا القناع الذى أرتديه أنا .. إنه ..

قاطعه (نور) بسرعة ، قبل أن تجيب هى :

– لا بأس .. إننا لم نعد نحتاج إلى الأقنعة الواقية .

اتسعت عيناه في ارتياع ، وهو يحدق في وجهها قبل أن يهتف :
ـ أنت لا ترتدين قناعًا واقيًا ..

قالها ، وانتزع قناعه عن وجهه ، فارتفع حاجبا (آرو) في تأثر ، وهو يقول لـ (نادية) :

ـ أنت أعطيتني قناعك .. أليس كذلك ؟!

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وخفضت عينيها دون أن تجيب ، فأمسك كفيها بيديه ، وقال متأثرًا :

ـ (نادية) .. إنني ..

قاطعه بغتة صوت (نور) ، وهو يقول :

ـ معذرة يا رفاق .. يؤسفني بحق أن أقاطعكما ، ولكنني أعتقد أنه هناك شيء ينبغي أن ترياه .

التفتا إليه في حرج ، ثم اتجه (آرو) نحوه ، قائلًا :

ـ وما هذا الشيء ؟

أشار (نور) إلى نقطة ينبعث منها ضوء متراقص ، وقال :

ـ أعتقد أن هذا المكان يطل على مكان ما داخل القلعة .

هتف (آرو) :

ـ حقًا ؟!

اتجه (نور) نحو تلك البقعة مباشرة ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .. من الواضح أن هذا الضوء ، الذي ينفذ عبر الفتحة ، هو نيران مشاعل متراقصة ، أو

بتر عبارته بغتة ، وهو يتطلع عبر الفتحة ، وانطلقت من حلقه شهقة مكتومة ، أثارت دهشة (آرى) و(نادية) وقلقهما ، عندما وقع بصره على ما يحدث خلفها ..

فقد كانت الفتحة تطل على قاعة العرش بتماثيلها الضخمة ، وقد بدا داخلها الأمير والأميرة ، وقائد فرسانهما ، وخمسة من الحراس العمالقة الأشداء ، الذين يدفعون شخصا ما أمامهم ..

وكان هذا الشخص هو (أكرم) ..

أما المكان الذى يدفعونه نحوه ، بكل العنف والقسوة ، فقد كان تلك الحفرة المخيفة ..

حفرة الحمم ..

* * *

امتقع وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يراجع التقارير الأخيرة ، فى حجرة القائد الأعلى ، وقال بصوت أجش ، يموج بكل انفعالات الدنيا :

ـ لقد بدأت النهاية بالفعل .

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابا فى مرارة ، وهو يقول :

ـ نعم للأسف .. البحار والمحيطات بدأت ثورتها ، والهزات الأرضية تتزايد ، فى كل أنحاء العالم ، والطقس غير مستقر على الإطلاق .. واهتزازات القمر تتضاعف وتتضاعف .

زفر الدكتور (ناظم) ، وقال فى ألم :

ـ سبع دقائق على الأكثر ، وينهار القمر ، ومع انهياره ستقفز تلك العوامل الى ذروتها ، و ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فزفر مرة أخرى ، وهز رأسه فى قوة ، قبل أن يغمغم :

ـ من يصدق أننا نشهد نهاية العالم .

تنهد القائد الأعلى ، قائلا :

ـ ومن كان يتصور أن تأتى بهذا الشكل .

جلس الدكتور (ناظم) على أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :

ـ هل تعلم .. لقد وضعنا فى معاملنا عشرات التصورات للنهاية .. افترضنا أن يقضى العالم على نفسه بأسلحة الدمار الشامل ، التى يسعى لتطويرها فى كل يوم ، أو أن يؤدى اتساع ثقب الأوزون إليها تدريجيا ، أو حتى أن يتم غزو فضائى آخر ، إلا أننا لم نتخيل هذه النهاية السريعة قط .

لوّح القائد بيده ، قائلا :

- لا أحد يدرى قط متى وكيف تأتى النهاية .

غمغم الدكتور (ناظم) :

- بالتأكيد ..

وفي صمت تام ، راح الرجلان يراجعان التقارير الجديدة ..

أمطار ، وعواصف ، وزلازل ، وبراكين ، وكوارث ، وكلها تنبئ بقرب النهاية ..

نهاية الأرض ..

* * *

« أعطني قنبلة محدودة وفتيل تفجير .. »

نطق (نور) العبارة في حزم وصرامة شديدين ، وبلهجة آمرة لا تقبل الجدل ، فارتفع حاجبا (نادية) في دهشة ، في حين سأله (آري) متوترا :

- ما الذى يدور فى ذهنك أيها القائد (نور) ؟

أجابه (نور) في عصبية ، لا تخلو من الحزم :

- وما الذى تتصوره ؟! .. سأنسف جزءا من هذا الجدار اللعين ، وأقفز داخل القاعة ، في محاولة لإنقاذ (أكرم) .

هتف (آري) :

- مستحيل ! .. هذا انتحار .. ألا تدرك قوة هؤلاء العمالقة ؟!

أجابه (نور) ، وهو ينتزع فتيل التفجير من جعبته عنوة :

- لن أتخلى عن (أكرم) أبدا .

حاول (آري) أن يمنعه من دفع الفتيل داخل الفجوة الصغيرة ، وهو يقول في حدة :

- إنهم خمسة من العمالقة ، بالإضافة إلى أقوى وأشرس ثلاثة فى عالم (المولاك) كله .. الأمير (مولون) ، و(بلوميا) ، و(هارلاك) .. ونحن لا نملك سوى أسلحة بسيطة ، قد تكفى لقتل الحراس الخمسة ، ولكن ثق فى أن الانفجار سيدفع جيشا من هؤلاء العمالقة إلى قاعة العرش .. أنت لا تدرك قدسية هذه القاعة بالنسبة لهم .

كرّر (نور) في صرامة شديدة :

- لن أتخلى عن (أكرم) قط .

سألته (نادية) بصوت مرتجف :

- حتى وأنت تدرك استحالة إنقاذه .

انعقد حاجبا (نور) في شدة ، وهو ينتزع قنبلة من جعبته ، ويثبت زنادها فى حزامه ، قائلا :

- لو لم أستطع إنقاذه من الموت ، فسأعفيه من عذاب النار على الأقل .

شهقت فى ارتياع ، وهى تتراجع هاتفة .

- يا إلهى ! .. (نور) .. هل تعنى ؟ ..

أشعل فتيل التفجير ، وتراجع معهما ، مجيبًا فى حزم :

- نعم .. أعنى .

ومع آخر حروف كلماته ، دوى الانفجار ..

انفجار محدود مكتوم ، نسف جزءًا من الجدار ، فاندفع (نور) عبره ، ووثب إلى القاعة ، مطلقًا صيحة قتالية ، جعلت (أكرم) يهتف :

- يا إلهى ! .. (نور) .

وتراجع العمالقة الخمسة فى حركة عنيفة ، فى حين قفزت (بلوميا) من مكانها ، وهى تطلق مواء عصبيًا عاليًا ، ورفع (هارلاك) هراوته ، وهو يندفع نحو (نور) وهبَّ الأمير من مقعده فى حدة ، و ..

وألقى (نور) قنبلته ..

وفى نفس اللحظة ، التى انفجرت فيها القنبلة ، بالقرب من العرشين المزدوجين ، انحنى (أكرم) متفاديًا رماح العمالقة ، ودار على عقبيه ، ولكم أقربهم إليه فى عينه مباشرة ، وهو يهتف :

- كم اشتقت لهذا أيها الأوغاد .

ووثبت (نادية) مع (آرى) عبر الفجوة إلى القاعة ، وراح الأخير يطلق نيران مسدسه المحدود نحو الحراس ، الذين انقضوا عليهما ، وهم يطلقون صرخات قتالية هادرة غاضبة ، ويلوّحون بهراواتهم فى الهواء ..

وصرخت (بلوميا) صرخات رهيبة ، وهى تلوّح بقبضتها ، و(هارلاك) يهاجم بكل قوته وشراسته ..

وانفتحت خمسة أبواب ضخمة فى القاعة ، إثر صرخات (بلوميا) ، واندفع منها أكثر من ثلاثين عملاقًا ، وكلهم يطلقون صرخاتهم المخيفة ، ويلوّحون بهراواتهم وأسلحتهم ، فهتف (آرى) ، وهو يطلق سلاحه نحو أحدهم :

- رباه ! .. كنت أعلم أن هذا سيحدث .. كنت أعلم .

وفى نفس الوقت ، وثبت (نادية) تركل عملاقًا فى معدته ، ولكنها ارتدّت فى عنف ، كما لو أنها ركلت جدارًا من الصلب ، فى حين انقضّ عليها عملاق آخر ، فأطلق عليه (آرى) نيرانه ، وهو يهتف بها :

- اهربى يا (نادية) .. إننا لن ننتصر هنا حتمًا .. اهربى .

صاحت به ، وهى تطلق نيران سلاحها على العملاق الذى يهاجمها :

ـ محال .. إما أن ننجو معا أو نلقى حتفنا معا .

فى الوقت ذاته ، كان (نور) يلقى قنبلة ثانية ، نحو بعض العمالقة ، فيطيح بهم فى عنف ، ولكن قبل أن يسقطوا أرضا ، برز عشرة آخرون من الأبواب المفتوحة ، فقفز (أكرم) نحوه ، وركل أحد العمالقة فى مؤخرة عنقه ، هاتفا :

ـ أشكرك على مبادرتك لإنقاذى يا صديقى ، ولكننى فى كل لحظة تمضى ، أزداد يقينا من أنها لم تكن سوى ضرب من الحماقة .

هتف به (نور) ، وهو ينتزع سلاحه ؛ ليواجه عملاقا آخر :

ـ لم أكن لأتخلى عنك قط .

نطقها وهو يطلق النار على العملاق ، وعينه تلمح (آرى) ، الذى تكالب عليه العمالقة من كل صوب ، وهو يقاتل لحماية (نادية) منهم ..

وأدرك (نور) أن المعركة خاسرة لا ريب ..

وأن القتال بهذه الوسيلة ، لن ينتهى لصالحهم أبدا .

إلا إذا ..

وعندما بلغ بتفكيره هذه النقطة ، تراجع فى حركة سريعة ، وهتف بـ (أكرم) :

ـ الأمير يا (أكرم) .

فهم (أكرم) ما يقصده (نور) بالضبط ، فوثب متفاديا انقضاضة أحد العمالقة ، فى حين اندفع (نور) نحو الأمير مباشرة ، وبقفزة ماهرة ، ركل (أكرم) الحارس الذى يحمى الأمير ، فى نفس اللحظة التى انقض فيها (نور) على هذا الأخير ، وأحاط عنقه بذراعه ، وألصق فوهة سلاحه برأسه ، صائحا بكل قوته :

ـ توقفوا وإلا قتلت أميركم بلا رحمة .

ولم تكد صيحته تدوى فى القاعة ، وعلى الرغم من أن أحدا لم يفهم حرفا واحدا منها ، فقد توقفت الحركة بغتة ، وتعلقت كل العيون بـ (نور) والأمير ..

واحتقن وجه الأمير فى شدة ، وهو يقول عبارة ما ، فلهث (آرى) هاتفا :

ـ إنه يطالبهم بالاستسلام يا (نور) .

سأل (أكرم) فى دهشة :

ـ من هذا الرجل يا (نور) ؟ .. وماذا يقول ؟!

أجابه (نور) فى انفعال :

ـ إنه صديق يا (أكرم) . ومن الواضح أنه يفهم لغة هؤلاء الأوغاد ، وأن مبادرتنا أتت ثمارها بالفعل ، فالأمير يطالب رجاله بالاستسلام ، خوفا على حياته .

نقل (أكرم) بصره فى حذر ، بين الغضب المرتسم على وجه (بلوميا) ، وانعقاد حاجبى (هارلاك) ، الذى يمسك هراوته فى وضع متحفز ، وقال :

ـ السؤال هو : هل يعنى لهم هذا شيئا ؟! .. وهل سيطيعون أوامره حقًا ؟!

غمغم (نور) ، فى لهجة لم يختف ما بها من قلق :

ـ إنه أميرهم .. أليس كذلك ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تحدثت (بلوميا) بشىء من العصبية ، وهى تشير إلى (آرى) ، الذى احتقن وجهه فى شدة ، وغمغم :

ـ يا إلهى ! .. تلك اللعينة تقول : إنهم كشفوا خطتنا منذ البداية أيها القائد (نور) ، وأنها تعلم أن رجالى يقبعون خارج القلعة ، فى انتظار شىء ما ، ولكنها أمرت رجالها بمحاصرتهم سرًا ، وبإشارة واحدة من يدها ، ستحدث مذبحة حقيقية ، يلقى خلالها كل رجالى مصرعهم .

بدا التوتر على وجهى (نور) و(نادية) ، فى حين نقل (أكرم) بصره بين وجوههم فى توتر ، وهو يقول :

ـ ما هذه اللغة يا (نور) ؟!.. ما الذى يقوله هذا الرجل !

لم يجب (نور) سؤاله ، وهو يقول لـ (آرى) فى توتر :

ـ أخبرها أننا سنقتل الأمير ، لو مست شعرة واحدة من رجالك.

نقل (آرى) العبارة إلى (بلوميا) ، التى أطلقت ضحكة مجلجلة ، تراقصت لها خصلات شعرها النارى ، قبل أن تهتف بكلمة ما ، ثم تدور حول نفسها ، وتلقى شيئا نحو الأمير بكل قوتها ..

وقبل أن يستوعب أحدهم شيئا ، انطلقت من حلق الأمير حشرجة قوية ، وجحظت عيناه فى شدة ، وقد انغرس جسم صلب حاد فى جبهته ، وغاص لعشرة سنتيمترات على الأقل ..

وفى اللحظة نفسها تقريبا ، انقض عملاقان على (أكرم) ، وكبّلا حركته ، تماما ، وهو يصرخ :

ـ أيتها المتوحشة الحقيرة .

وانقض (هارلاك) على (نور) ، وأطاح بسلاحه ، بضربة قوية من هراوته . في حين تكالب عدد من العمالقة على (نادية) و(آرى) . على الرغم من طلقات سلاح هذا الأخير ، ولمقاومته العنيفة للأولى ..

وتواصلت ضحكات (بلوميا) السادية الساخرة الظافرة ، حتى سيطر عمالقتها تماما على الموقف ، فواجهت الجميع ، وهى تتحدث بعينين تلتمعان ظفرا ، فترجم (آرى) حديثها ، وهو يقول فى مرارة :

ـ تلك الحقيرة تقول : إنها لم تكن لتضيع فرصة نادرة ، للقضاء على جيش المقاومة البشتورى كله ، لتبقى فقط على حياة الأمير .

تمتم (نور) فى سخط :

ـ كان ينبغى أن نتوقع هذا .

أما (أكرم) ، فقال فى حدة ، دون أن يفهم ما قاله الآخرون :

ـ ألم أقل لك إنها حماقة كبيرة يا صديقى ؟

نقلت (بلوميا) بصرها بينهم فى سخرية ، وقال (هارلاك) شيئا ما ، وهو يشير إلى (نور) ، فأومأت برأسها إيجابا ، وتحدثت بدورها ، فشحب وجه (آرى) بشدة ، وهتف :

ـ يا إلهى ! .. مستحيل !

سأله (نور) فى توتر :

ـ ماذا قالت ؟

أجابه (آرى) بصوت يموج بالغضب والانفعال :

ـ هؤلاء الأوغاد يتهمونك بأنك المسئول عن مصرع أميرهم ، و(هارلاك) يقول : إنه لولا ما فعلته ، لما كانت (بلوميا) مضطرة لقتل الأمير ، لذا فقد .. قد ..

قال (نور) فى صرامة :

ـ هات ما لديك يا رجل .

ازدرد (آرى) لعابه فى توتر ، قبل أن يجيب :

ـ لقد أصدرت تلك اللعينة حكما بإعدامك .

شهقت (نادية) فى ذعر ، وهتف (أكرم) محنقا :

ـ هلا أخبرنى أحدكم ماذا يحدث هنا ؟

أطلقت (بلوميا) ضحكة ساخرة أخرى ، ثم أشارت إلى رجالها ، هاتفة بعبارة صامتة ، فجذبوا (نور) فى قسوة نحو منتصف القاعة ..

واتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ رباه ! .. لا .. ليس حفرة الجحيم .

قاوم (نور) فى عنف ، وكذلك فعل (أكرم) ، و(آرى) و(نادية) ..

ولكن العمالقة كانوا يكبلون الجميع بقوة رهيبة ، تفوق قوة البشر العاديين بثلاث مرات على الأقل ، ويدفعون (نور) نحو حفرة النار فى عنف وقسوة ، لاتجدى معهما أية مقاومة ..

وتوقف الحراس عند الحفرة ، واتسعت عينا (نور) وهو يحدق فى الحمم الملتهبة ، التى تجرى فى أعماقها ، واستعادت ذاكرته مشهد سقوط (واتسن) فى قلبها ، والرمح مغروس فى صدره ، وتمتم :

- يا إلهى ! .. كان (أكرم) على حق عندئذ .. إنها وسيلة موت بشعة .. بشعة للغاية .

وصرخ (أكرم) فى ثورة ومرارة ، وهو يواصل مقاومته فى استماتة :

- لا أيها الأوغاد .. ليس (نور) .. ليس (نور) .

ولكن الأميرة (بلوميا) أشارت بيدها فى صرامة ، وعيناها تتألقان بذلك البريق الدموى السادى ..

وبلا تردد ، دفع العمالقة (نور) إلى الحفرة ..

وضرب (نور) الهواء بذراعيه فى قوة ، محاولا التشبث بأى شىء ..

أى شىء ..

ولكن جسده لم يلبث أن هوى فى الفراغ ، من ارتفاع عشرين مترا ..

نحو الحمم مباشرة ..

وبلا أمل فى النجاة ..

بلا أدنى أمل .

* * *

١٠ - المعجزة ..

طبقا لعجلة الجاذبية الأرضيـة ، لن يستغرق سقوط شخص ما ، من ارتفاع عشرين مترا ، إلى قاع حفرة الحمم الملتهبة إلا ما يزيد قليلا على ثانيتين(*) .

ولكن من الطبيعي أن يصاب هذا الشخص بكم من الرعب ، لم يشهد مثله في عامين كاملين من الفزع المتصل ..

وعندما هوى (نـور) فى الحفرة الرهيبة ، وعلى الرغم من شجاعته ، ارتجف قلبه داخل صدره فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وسرى فى عروقه ، رعب لا مثيل له ..

إنه ليس الموت نفسه ..

ولكنها وسيلة الموت ..

الحمم الملتهبة ..

النـار ، التى اختارها اللـه سبحانه وتعـالى لعقاب الكفار والملحدين والعصاة من عبيده ..

(*) عجلة الجاذبية الأرضية : ٩٧١ سم / ث / ث .

النار ، التى ترتجف لها أقوى وأشجع القلوب ..
وكان السقوط فيها يعنى الموت بلا رحمة ..
وبلا أمل ..

« (س - ١٨) فى خدمتك يا سيدى .. » .

انطلقت العبارة بغتة ، فى قلب الحفرة ، فـانتفض جسد (نـور) فى عنف ، وهو يهوى فـى الفـراغ ، واتسعت عيناه فى ذهول ، و ...

وفى اللحظة التالية مباشرة ، حدث أمر مذهل ..

برز (س - ١٨) ..(*) .

ذلك المقاتل الأطلنطى الآلى الأخير ، برز من العدم ، كما لو أنه يأتى من عالم آخر ، أو يولد من قلب الفراغ .

وبسرعة مذهلة ، اندفع نحو سيده (نـور) ، والتقطه من وسطه ، وارتفع به إلى أعلى ، و(نور) يهتف فى مزيج من الفرح واللهفة والسعادة :

- (س - ١٨) .. يا إلهى ! .. إنها معجزة .

وفى الثانية التالية مباشرة ، خرج بـه من الحفرة ، فصرخت (بلوميـا) فـى رعب ، وتراجعت فـى ذعر ، وشهقت (نادية) شهقة قوية ، واتسعت عينـا (آرى) فى ذهول ، فى حين صرخ (أكرم) بسعادة الدنيا كلها :

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

- (س - ١٨) .. لقد نجونا يا رفاق .

واندفع العمالقة نحو (س - ١٨) ، وهم يطلقون صيحاتهم المخيفة ، فهتف به (نور) :

- هؤلاء هم الأعداء يا (س - ١٨) .

وقف المقاتل الاطلنطى ثانيا ، وهو يقول عبارته الوحيدة :

- (س - ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

وفرد يديه فى وجوههم ، ثم أطلق أشعته ..

وانسحق العمالقة فى لحظة واحدة ، مع الأشعة المدمرة الرهيبة ، فتراجع (هالارك) مذعورًا ، فى حين هتفت (بلوميا) بعبارة ما ، وهى تعدو مبتعدة ..

وبرز عمالقة آخرون ، وآخرون ..

وانطلقت أسلحة (س - ١٨) تحصد الجميع بلا رحمة .

وفى ذهول ، هتف (آرى) :

- ما هذا الشىء بالضبط !

أجابه (نور) فى سعادة تامة :

- ملاكنا الحارس يا صديق ، الذى يظهر دائمًا ، عندما تتعقد الأمور ، ونصبح فى مسيس الحاجة إليه ..

اتسعت عينا (بلوميا) فى رعب هائل ، إزاء هذا

المشهد الرهيب ، وأدركت أن هذا القادم الجديد يقلب الموازين كلها رأسا على عقب ، وأن قدراته الهائلة هذه قادرة على تدمير عمالقة (المولاك) كلهم فى دقائق معدودة ..

.. إلا إذا ..

وبقفزة ، مدهشة ، أشبه بقفزة قط ماهر رشيق ، وثبت عبر القاعة ؛ لتهبط خلف (نادية) ، مباشرة ، وتحيط عنقها بذراعها ، ثم تبرز مخالبها الحادة ، صارخة بعبارة ما ..

ومرة أخرى تجمد الموقف ..

وفى ارتياع ، هتف (آرى) :

- يا إلهى ! .. تلك الحقيرة ستقتل (نادية) ، لو واصل رجلكم الآلى قتل رجالها :

لم يفهم (أكرم) ما قاله (آرى) ، ولكنه اختطف سلاح (نور) الملقى أرضًا ، وصوبه إلى (بلوميا) ، هاتفًا :

- آه .. كم تمنيت أن تأتى هذه اللحظة .

أمسك (نور) يده ، قائلا فى حزم :

- مهلا يا صديقى .. إنك مجهد للغاية ، وربما تخطئ التصويب .

وثبتْ عبر القاعة ، لتهبط خلف (نادية) مباشرة ، وتحيط عنقها بذراعيها ، ثم تبرز مخالبها الحادة ..

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ هذه اللعينة تستحق القتل يا (نور) .. هل نسيت ما فعلته بـ (أوتو) ، و(خالد) ، و(واتسن) .. وما فعلته بى شخصيًا ؟!.. أتتصوَّر أنها تستحق الحياة ، بعد كل هذا ؟!

صمت (نور) ، وهو يتطلَّع إلى (بلوميا) ، التى بدت أشبه بالشيطان ، ببشرتها الزرقاء ، وشعرها الملتهب ، وعينيها الدمويتين ، اللتين يطلّ منهما شر ووحشية الدنيا كلها ، ومخالبها الحادة ، التى تتأهب لتمزيق عنق (نادية) ، ثم قال فى حزم وافتضاب :

ـ كلا .

ثم التفت إلى (س ـ ١٨) ، مستطردًا بلهجة آمرة حازمة :

ـ عليك بها .

اعتدل (س ـ ١٨) ، مرددًا العبارة الوحيدة ، المسجَّلة بكل لغات الدنيا فى برنامجه :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

لم تفهم (بلوميا) ما قاله (نور) ، وما أجاب به (س ـ ١٨) ، إلا أنها أدركت أن هذا كله ضدها ، فأطلقت مواء عصبيًا ، قبل أن تصرخ بعبارة ما ، وتغرس

مخالبها فى عنق (نادية) ، فهتف (آرى) فى ارتياع :

ـ مهلا أيها القائد (نور) .. مهلا .

أشار (نور) إلى (س ـ ١٨) بالتوقف، وهو يسأل :

ـ ماذا قالت ؟

أجابه (آرى) ، وهو يتحرك فى عصبية :

ـ لقد غرست مخالبها فى عنق (نادية) بالفعل ، وتقول : إنه حتى ولو نجح رجلكم الآلى فى إصابتها ، أو نسف رأسها ، فسيكون لديها ما يكفى من الوقت ، لتنتزع وريدها العنقى بمخالبها ، قل أن تلقى مصرعها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهتف (أكرم) فى حنق :

ـ يا للعينة !

زمجرت (بلوميا) مرة أخرى فى ظفر ، وجذبت (نادية) فى عنف ، نحو منتصف القاعة ، وهى تتحدث فى صرامة ، و(آرى) يتابعها فى توتر شديد ، فسأله (نور) فى قلق :

ـ ألن تترجم ما قالته ؟

أجابه (آرى) فى توتر شديد :

ـ إنها تطالبنا بالتراجع مع الآلى ، وتسليم أنفسنا لعمالقتها ، وإلا مزقت عنق (نادية) .

سأله (نور) :

ـ وما قولك ؟!

عضّ (آرى) شفتيه فى مرارة ، وهو يقول :

ـ لست أدرى أيها القائد (نور) .. لست أدرى .. لا يمكننى المجازفة بحياة (نادية) .. رباه ! .. لست أدرى .

أطلقت (بلوميا) ضحكة ساخرة أخرى ، وكأنها تفهم ما قاله (آرى) ، وهى تجذب (نادية) نحو حفرة النار ، وهذه الأخيرة تقول فى حزم :

ـ اقتلوا هذه المتوحشة .. لا تبالوا بى .. اقتلوها .. إنها تستحق هذا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. إنها تستحق هذا .

ثم التفت إلى (س ـ ١٨) ، وقال :

ـ هذه المخالب تهددنا بالفشل يا (س ـ ١٨) .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطلق من عينى (س ـ ١٨) شعاعان من الليزر ، نحو معصم (بلوميا) مباشرة ..

وصرخت الأميرة السادية فى ذعر وألم ، عندما بتر الشعاعان يدها ، وانتزعاها من جسدها فى مشهد بشع ،

وتدفق من موضع البتر سائل أزرق كالحبر ، وهى تتراجع صارخة بعبارة ما ، فهتف (أكرم) ، وهو يصوب مسدسه نحوها :

- أشكرك يا (س - ١٨) .

كان الجميع يتصورون أنه سيطلق النار على رأس (بلوميا) مباشرة ولكنه لم يفعل .

* * *

لقد رآها تتراجع فى ألم وثورة ، ملوحة بيدها التى بتر معصمها ، وذلك السائل الأزرق البشع يتدفق منها فى غزارة ، والعمالقة يحدقون فيها ذاهلين مذعورين .

وكأنما لا يصدقون أن أميرتهم قد أصابها ما أصابها .

فقال فى لهجة حملت مقت الدنيا كلها :

- اذهبى إلى الجحيم أيتها اللعينة .

ثم أطلق سلاحه عند موضع قدميها ، مستطردا فى بغض :

- الجحيم الحقيقى .

أصابت أشعة السلاح الأرض ، تحت قدمى الأميرة مباشرة ، ونسفتها فى عنف ، فاختل توازن (بلوميا) .

وهوت ..

هوت فى حفرة النار ، التى ألقت فيها المئات ، طوال حياتها الوحشية ..

ولكنها تشبثت بالحافة فى اللحظة الأخيرة بيدها الوحيدة ، التى برزت مخالبها ، لتنغرس فى الحافة ..

وصرخت (بلوميا) ..

صرخت تستنجد برجالها ..

أو حتى بأعدائها ..

ولكن أحدا لم يحرك ساكنا للعجب !

العمالقة خشوا أن يهبوا لنجدتها ، فيتصدى لهم (س - ١٨) بأسلحته المدمرة ، التى سحقت العشرات من إخوانهم أمام عيونهم منذ قليل ..

و(نور) ورفاقه لم يحاولوا التدخل لإنقاذها ، على الرغم من مشاعر (نور) المرهفة ، وكراهيته الغريزية للقتل والتدمير ..

كانوا وكأنهم قد اتفقوا جميعا على أمر واحد ..

أنها تستحق الموت ..

الشخص الوحيد الذى تحرك كان (أرى) ، الذى اندفع نحو (نادية) ، وانتزع المخالب مع اليد من عنقها فى حرص ، ثم احتواها بين ذراعيه ، متمتما :

- انتهى كل شىء والحمد لله .. انتهى كل شىء .

ومع آخر حروف عبارته ، انطلقت صرخة (بلوميا) ترج قاعة العرش ، عندما انهار الجزء الذى تتشبث به ، فهوى معها إلى أعماق الحمم الملتهبة ..

ومن موضع سقوطها ، ارتفع لسان من اللهب عاليًا ، وكأنه يعلن الهزيمة ..

هزيمة طغاة الكوكب الدموى ..

* * *

« من يصدق هذا ؟! .. »

نطق الحاكم (كاتو) بالعبارة فى سعادة وحماس ، وهو يقف مع (نور) و(أكرم) ، و(نادية) ، و(آرى) ، فى قلب (بشتوريا) ، قبل أن يستطرد فى فرح واضح ، محدثًا شعبه الذى شملته السعادة :

ـ لقد استعدنا الكوكب .. وضعنا أقدامنا على أول الطريق ، لإعادة بناء حضارتنا المفقودة ، ورب ضارة نافعة ، فلولا تلك الكارثة ، التى أتت بالقائد (نور) ورفاقه إلى عالمنا ، لما أمكننا تحقيق هذا النصر .. والمدهش أننا رصدنا محاولة رجلهم الآلى لعبور الحاجز الزمكانى إلى عالمنا ، ولكن هذا أصابنا بفزع شديد ؛ فلم نتصور قط أن هذا الوجه البشع ، يمكن أن يحمل لنا كل هذا الخير ، وأن يكون وسيلتنا للقضاء على الطغاة .

انطلق الجميع يهتفون ويهللون فى سعادة ، فقال (نور) :

ـ أتعشم ألا تكرروا أخطاء الماضى ، التى قادتكم إلى كل هذا ، وأن يكون الخير والعدل هما هدفكم فى المستقبل ، خاصة وأن الخطر لم يزل بعد ، فلقد نجح (هارلاك) ، وعدد كبير من عمالقته فى الفرار ، والاختباء فى قلب الجبل ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى يمكنهم فعله فى المستقبل !

أومأ الحاكم برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ اطمئن أيها القائد (نور) .. وما عانيناه منذ هزيمتنا ، يمنعنا من الوقوع فى أخطاء جديدة .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ ولكن قل لى : هل يستطيع رجلكم الآلى إغلاق الفجوة بالفعل ؟!

صمت (نور) لحظة ، وهو يتطلع إلى (س ـ ١٨) ، الذى يقف صامتًا جامدًا فى الركن ، قبل أن يجيب :

ـ حتى الآن ، لم يعجز (س ـ ١٨) عن القيام بأى عمل أسندته إليه .

ثم تهدج صوته ، وهو يضيف فى أسى :

ـ فيما عدا استعادة (محمود) .

تطلع (أكرم) إلى (س ـ ١٨) بدوره ، قبل أن يسأل :

ـ قل لى يا (نور) : لماذا لم يعد (س ـ ١٨) بزميلنا (محمود) ؟!

تنهد (نور) مجيبًا :

ـ ليتنى أستطيع سؤاله عن هذا يا صديقى .. وليته يستطيع الجواب .

ربت الحاكم على كتف (نور) ، وهو يقول :

ـ أيها القائد (نور) .. بخصوص عودتكم إلى عالمكم ، أعتقد أن لدينا وسيلة لهذا .

سأله (نور) فى اهتمام .

ـ وما هى ؟!

ابتسم الحاكم ، مجيبًا :

ـ سترى بنفسك .

لم تمض دقائق معدودة على هذا القول ، حتى كان (نور) و(أكرم) و(نادية) يحدقون فى دهشة ، فى مركبة فضائية صغيرة ، تضيع داخل كهف صخرى واسع ، فى قلب الجبل ، والحاكم يشير إليها ، قائلا :

ـ هذه آخر مركبة فضائية سليمة لدينا ، منذ انهيار حضارتنا ، ولكن المشكلة أن ما يحويه خزانها من

وقود فضائى لن يكفى لقطع ألف كيلو متر فحسب فى الفضاء .

تنهد (نور) فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ إنه يكفينا للهبوط على الأرض .

سأله (أكرم) :

ـ وماذا عن الوصول إليها ؟!

ابتسم (نور) ، قائلا :

ـ ليست هذه هى المشكلة الوحيدة يا صديقى ، فالطاقة الهائلة ، التى تنطلق من الفجوة ، مع قوة الدفع الرهيبة ، ستجعل اقترابنا منها أشبه بالمستحيل ، فما بالك بعبورها إلى الجانب الآخر ، ومقاومة قوة جذبها الخرافية للابتعاد عنها ؟!

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! .. وكيف سيمكننا التغلب على كل هذا يا(نور) .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ وهل لدينا سواه ؟!

صفقت (نادية) بكفيها فى جذل كالأطفال ، هاتفة :

ـ (س ـ ١٨) .

أشار إليها (نور) بسبابته ، قائلا :

- بالضبط .. إنه الوحيد القادر على التصدى لكل هذا ودفع ثلاثتنا إلى الأرض ، ثم ..

تنحنحت (نادية) تقاطعه ، قبل أن تقول فى حرج :

- معذرة أيها القائد (نور) ، ولكننى لن أعود معكما .

هتف (أكرم) فى دهشة :

- لماذا ؟!

أما (نور) ، فقد نقل بصره بينها وبين (آرى) ، قبل أن يسألها :

- أأنت واثقة من قرارك ؟!

أومأت برأسها إيجابا فى حرج ، وهى تتمتم :

- إعادة بناء (بشتوريا) سيحتاج إلى جهد هائل ، و(آرى) سيحتاج إلىّ بجانبه حتما .

أومأ (أكرم) برأسه ، مغمغما فى تأثر :

- آه .. فهمت .

ثم استطرد بسرعة ، قبل أن تغلبه مشاعره :

- والآن دعونا لا نضع المزيد من الوقت .. الأرض لن تنتظر طويلا .

أجابه (نور) فى حزم :

- بالتأكيد يا (أكرم) .. بالتأكيد .

ثم التفت إلى (س - ١٨) ، قائلا :

- (س - ١٨) .. هل تدرك مهمتك جيدا ؟

أجابه الآلى بعبارته الوحيدة :

- (س - ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

وبعد دقائق من نطقه لعبارته ، كان ينطلق فى فضاء الكوكب ، حاملا المركبة الفضائية الصغيرة ، وبداخلها (نور) و(أكرم) ..

وكانت قوة الدفع عند الفجوة رهيبة ..

رهيبة بحق ..

وفى عنف ، راحت المركبة ترتجف ، حتى إن (أكرم) هتف ، وهو يغلق عينيه فى قوة ، مع الضوء المبهر ، الذى تقذفه الفجوة من هذا الجانب :

- لن يفلح يا (نور) .. لن يمكنه مقاومة هذا الدفع الرهيب .

هتف (نور) :

- لابد أن يحاول يا (أكرم) .. إنه أملنا الأخير .

كانت مؤشرات الطاقة فى جسم (س - ١٨) تنخفض بسرعة ، مع الجهد الهائل الذى يبذله ، لمقاومة قوة الدفع الجبارة ، ولكن أجهزته القوية ساعدته على أن يمضى فى طريقه ، ويمضى ، ويمضى .

حتى تجاوز الفجوة ..

وأمام عينى (نور) و(أكرم) ، راح الضوء المنبعث منها يخفت ويخفت ، حتى أحاط بهما ظلام دامس ، فهتف (نور) فى سعادة :

- لقد تجاوزناها بالفعل .. (س - ١٨) نجح يا رجل .. نجح

كان (س - ١٨) يدرك أن ما حدث ، على الرغم من الجهد الهائل المبذول فيه ، ليس سوى الخطوة الأولى فى الخطة ، لذا فقد استنفر قدرا هائلا من طاقته ، ودفع المركبة الفضائية أمامه ، بكل ما يملك من قوة ، مبتعدا عن الفجوة السوداء ، ثم دفعها فى عنف ، لتمضى وحدها فى المسار المحدود ، الذى يقودها إلى الأرض مباشرة ..

وأشعل (نور) محركات المركبة ، فى اللحظة نفسها ، للحصول على قوة دفع أكبر ، وهو يهتف :

- الفجوة يا (س - ١٨) .. أطلق تلك الموجة فوق الصوتية ، لإغلاق الفجوة .

انطلق (س - ١٨) عائدا إلى مركز الفجوة بأقصى سرعة ، ولم يكد يبلغه ، حتى دار حول نفسه ، مقاوما قوة الجذب الرهيبة ، التى كادت تستعيد المركبة الفضائية إليها ..

ثم أطلق صيحة هائلة ..

صيحة غير مسموعة ، على الرغم من القوة الخرافية لتموجاتها ، ولكنها كانت كافية لتتألق حواف الفجوة بشدة ، ثم تنكمش بسرعة هائلة ..

وفقد (س - ١٨) مع الصيحة كل مخزون طاقته ..

فقدها دفعة واحدة ، بعد الجهد الهائل الذى بذله فى الفترة الأخيرة ..

ومع نفاد مخزون الطاقة ، جذبت الفجوة جسمه إليها ، قبل أن تواصل انكماشها بسرعة ..

وصرخ (نور) :

- لا .. لا يا (س - ١٨) .. عد إلينا .

ولكن الفجوة الرهيبة واصلت انكماشها بنفس السرعة ، معلنة ضياع (س - ١٨) إلى الأبد ، فى ذلك العالم الآخر ..

ومعلنة فى الوقت ذاته أن نهاية الأرض قد تأجلت إلى أجل غير مسمى .

وأن خطر الفجوة السوداء قد زال هذه المرة .. وإلى الأبد ..

* * *

« (نور) و(أكرم) بخير والحمد لله ، وهما فى طريقهما للعودة سالمين .. » .

نطق (محمود) هذه العبارة فى ارتياح تام ، وبصوت هادئ عميق ، من خلال حلم (رمزى) ، الذى رأى نفسه يسبح فى الفضاء إلى جواره ، ويسأله :

- وماذا عن الأرض ؟!

أجابه (محمود) بابتسامة هادئة :

- لقد نجت هذه المرة أيضًا يا صديقى .. ألم تعلم أن الظواهر الطبيعية كلها قد تراجعت ، مع عودة توازن الجاذبية ؟! .. إنها ليست النهاية .. الأرض مازالت بخير والحمد لله .

مد (رمزى) يده إليه ، قائلا فى تأثر :

- وماذا عنك أنت يا صديقى .. ألن تعود إلينا ؟!

ارتسم الحزن على وجه (محمود) ، وهو يبتعد فى بطء ، مجيبًا :

- فات الأوان يا صديقى .. كانت هناك فرصة واحدة للعودة ، فى ذلك العالم الآخر ، ولكننى أدركت أن عودتى لن تفيد (نور) و(أكرم) .. لن تفيد أى مخلوق .. لذا فقد تركت الفرصة لـ (س ـــ ١٨) ، وأمرته بالعودة لإنقاذ الجميع .

وترقرقت عيناه بالدمع ، وهو يستطرد :

- صحيح أننى سأظل وحيدًا هنا إلى الأبد ، ولكننى لست نادما على قرارى يا صديقى .. لقد فعلت الصواب ، وبذلت نفسى مرة أخرى ، فى سبيل من أحب .. فى سبيلكم جميعًا .

حاول (رمزى) أن يسبح ليصل إليه ، وهو يتمتم :

- لا يا (محمود) .. لا سنجد وسيلة حتمًا لاستعادتك .. مادام (س ـــ ١٨) قد عاد ، فهناك بالتأكيد وسيلة لعودتك .

هز (محمود) رأسه نفيا ، وراح جسده يبتعد أكثر وأكثر فى الفراغ ، وصوته يزداد خفوتا ، وهو يقول :

- فات الأوان يا صديقى .. الطاقة التى أعادت (س ـ ١٨) ، هى كل ما كان لدى من طاقة ، حتى إننى لن أستطيع زيارتكم فى أحلامكم بعد الآن .. الوداع يا (رمزى) .. الوداع يا رفاق .. الوداع .

صاح (رمزى) ، وهو يمد يده أكثر وأكثر :

- لا يا (محمود) .. لا تذهب .. أرجوك .. سنبذل قصارى جهدنا لاستعادتك .. لا تذهب يا (محمود) .

تردد صوته خافتا ضعيفا ، فى أعماق الحلم ، وهو يتمتم :

ـ فات الأوان يا صديقى .. فات الأوان ..

قالها ، وجسده يغوص فى أعماق العدم ، فى رحلة أخيرة بلا عودة .

ويبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥

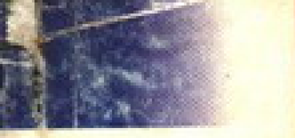

كوكب الطغاة

- ما مصير (نور) ورفاقه ، فى ذلك العالم الجديد ، الذى يحكمه العمالقة ؟!
- كيف يمكن أن يتدخل (محمود) ، لإنقاذ (نور) و (أكرم) ، فى ذلك الكوكب الدموى ؟!
- ترى هل يجد (نور) ورفاقه وسيلة لإنقاذ الأرض ، أم تنتهى أمورهم على (كوكب الطغاة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) ورفاقه .. من أجل الأرض .

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

111

الثمن فى مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم .

العدد القادم : [illegible] الموت